السُّخرية بين إشكاليَّة الدلالة والتناول الفني

دراسة نقديَّة

د. محمد محمود أبوعلى

مدرس النقد والبلاغة

آداب دمنهور

مقدمة :

تُعد السخرية إحدى وسائل الرفض التي يستخدمها المُبْدِعُون في التعامل مع الحياة ، من أجل التمرُّد علي ما فيها من شرور ومفاسد ، بطريقة تمتزج فيها الابتسامة بالألم ، فتكون بذلك إحدى وسائل النقد الاجتماعي ، وهي لا تسترعي اهتمام الباحثين في مجال الإبداع الأدبي فحسب ، بل تجذب – أيضًا – الباحثين في مجال علم النفس ، وتَشُقُّ جذورها داخل الفكر الفلسفي ذاته ؛ لتهتدي منه إلي طريقها نحو الأدب بوجهٍ خاصّ ؛ فهي غرض يناسبه الهزل ، والضحك ، والعبث ، والهجاء .

وهي مصطلحٌ غامض ، مُشْكِل ، مُلْتَبِس ، يتماس مع غيره من المصطلحات ، يتفق معها في أشياء ، ويختلف في أشياء .

ومن هذه المصطلحات : المُفَارَقة ، والهجاء ، والضحك ، والفُكَاهة ، والتهكُّم ، والاستهزاء ، والاستخفاف ، والظَّرْف ، والطَّنْز ، والهَزْل ، والمُزَاح ، والتذليل ، والتنديد ، والتورية ، والمدح يراد به الذم ، والذم يراد به المدح ، وغيرها .

أهداف البحث :

يسعى هذا البحث إلى تحديد مفهوم مصطلح (السخرية) ، وما يندرج تحته من معانٍ ، ودلالاته في اللغة العربية ، وما يقابله في المصادر الأجنبية ، وعلاقته بغيره من المصطلحات ، وتوضيح ما بينها من أوجه اتفاق أو اختلاف .

ويحاول كذلك الإجابة عن عددٍ من الأسئلة ، منها : هل تترادف هذه المصطلحات وتتفق اتفاقًا تامًّا ؟ أم تختلف اختلافًا بَيِّنًا ؟ وما القواسم المشتركة بينها ؟

كما يهدف إلى تتبُّع مصطلح (السخرية) في بيئاته المختلفة ؛ لتحديد الفوارق بينه وبين المصطلحات الأخرى ؛ حيث إن الاتصال وثيقٌ بين الفنون الثلاثة : المفارقة (Irony) ، والهجاء (Satire) ، والسخرية (Sarcasm) .

وقد اخترتُ السخرية لأنها أكثر دورانًا وشيوعًا على ألسنة الناس ، وتطرَّقْتُ لعلاقتها بعلم البديع ، ووقفتُ عند نماذج منها في عصور الأدب العربي .

منهج البحث :

حاولتُ تطبيق بعض المناهج النقدية – التاريخي ، والنفسي ، والاجتماعي ، والتحليلي – بُغْيَة إقامة حوار بين هذه المناهج والنص المتناول ؛ لاستدعاء المنهج الأنسب للتعامل مع النصوص ؛ مبتعدًا عن قولبة النصوص ؛ لتتفق مع وجهة نظرى .

وأتبعتُ المنهج التاريخى عند البحث عن جذور المصطلحات وتطورها خلال العصور الأدبية المختلفة ؛ لكشف أثر هذه البيئات فى تطور المصطلحات .

وأستعنتُ بالمنهج النفسى كي أتمكنَ من إماطة اللثام عن نفسية الساخر ، وعلاقتها بأنماط التصرُّف والسلوك .

وكان للنقد الاجتماعى دوره بوصف السخرية من أسلحة النقد الاجتماعى ، وسبيلاً لرفض سلبيات المجتمع .

أما المنهج التحليلى فقد حاولتُ ، مستعينًا بآلياته ، تحليل الأشعار ، وبيان مدى التشابه أو الاختلاف بين المصطلحات .

وجاء هذا البحث فى ثلاثة مباحث : تناولتُ في **المبحث الأول** مُشْكِل مصطلح السخرية ، وعلاقته بالمصطلحات الأخرى ، متتبعًا الجذور في اللغتين : العربية والإنجليزية ، محاولاً استجلاء أقرب الترجمات للصحة .

ثم جعلتُ **المبحث الثاني** عن السخرية وعلم البديع ؛ حيث إن كثيرًا من مصطلحات البديع تُعَدُّ منبعًا رئيسًا من منابع السخرية ، فإن السخرية ترتبط بالتورية ، والمبالغة ، والقول بالموجب ، والتوجيه والإيهام ، ونفي الشيء بإيجابه ، والهزل الذي يراد به الجد ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتأكيد الذم بما يشبه المدح ، والتهكُّم ؛ حيث يَتَخَفَّى المتكلم تحت مظهرٍ مُخَادِع ، بُغْيَةَ المواربة أو المناورة اللفظية ؛ بهدف المُرَاوَغة في الحديث ، والإخفاء المُتَعَمَّد للمعنى المقصود ، المُسْتَفاد من السياق والقرائن ، وإظهار معنى مضاد – غالبًا – لِمَا يُرِيد .

أما **المبحث الثالث** فجعلته بعنوان (تجليات السخرية في الأدب) ؛ كي أُثْبِتَ أنَّ السخرية فن استخدمه الشعراء – على نطاقٍ واسع – قديمًا وحديثًا ؛ فقد ارتبطت بالهجاء في العصر الجاهلي ، وذلك ما تجلى – بشكلٍ واضح – في المنافرات ، ثم صار الهجاءُ الساخر وسيلةً لمحاربة المشركين وإلجامهم ؛ كي يكفوا عن هجاء الرسول (ﷺ) والمسلمين ، ثم برزت النقائض في العصر الأموي ، وهي فن تمتزج فيه السخرية بالهجاء والفخر ، وفيها يقف كل شاعر مدافعًا عن نفسه بكل أساليب الدفاع المُمْكِنة ليدحض حُجَّةَ خَصْمِهِ .

وفي العصر العباسي تجلت السخرية في شعر أبي الشمقمق لشكوى سوء الحال ، والفساد الاجتماعي ، كما ظهرت – بوضوح – عند دعبل الخزاعي ، وابن الرومي ، والمتنبي .

وفي العصـــر الحديث نراها عند أحمد شـــوقي ، وحافظ إبراهيم ، وأحمد الزين ، ومحمود غنيم ، وصـالح الشـرنوبي ، وعلي الغاياتي ، وأحمد سـويلم ، وإبراهيم طوقان ؛ فقد أصـبحت نقدًا للواقع الاجتماعي بما فيه من شـرور ومفاسـد ، كما نراها في مسـرحيات يعقوب صـنوع الكوميدية الساخرة ؛ فقد آمن بأن الفكاهة والسخر من أقوى أسلحة الإصلاح السياسي والنهوض بالمجتمع .

تمهيد :

تُعَدُّ قضـــية المصـــطلح (Term) من أخطر القضـــايا المُثَارة الآن – ومنذ زمنٍ – على الساحة النقدية والأدبية واللغوية جميعًا ؛ إذ إنها تَمَسُّ الميراث الثقافي والفكري والحضاري للأمم ، المُعَبِّر – بدوره – عن هويتها وكيانها .

وإذا كان المصطلح هو خلاصة التصوُّر لدى المتخصصين ، ومفتاح العلوم التي مَكَّنَت للحضارات ، والثقافة المُعَبِّرة عن كل ما أنتجه الإنسان في تاريخه الطويل ، فإنَّ الحاجة قد غدت ماسـة اليوم « لأن يسـاير إبداع المصـطلح عملية النمو والازدهار لكل أمة ، وإلا كان الاسـتدعاء لمصطلحات الآخر والالتحاق به ، وغياب الخصوصية اللغوية والثقافية ، وهنا تبدأ المخاطر التى لا يعلمها إلاَّ الله» [1] .

وعلى الرغم من أن المصطلح يحمل فكر أمة وثقافتها وحضارتها ؛ فإن فوضـى استخدام المصـطلحات تكاد تجتاح إنتاجنا النقدي والأدبي ؛ مما أدَّى إلى الاسـتلحاق (بالآخر) عن طريق استخدام مصطلحاته للتعبير عن مفاهيم ومدلولات عربية صلبية ، افتتانًا بهذا (الآخر) ، وانسلاخًا عن الجلدة (والذات) ؛ حتَّى هيمنت ثقافته علينا ؛ فأصـبحنا كشـيخ المسـجد الذي يصـعد المِنْبَر بزيه الإسـلامى المعهود إلا إنه يضـع فوق رأسـه (قبعة) بدلاً من العمامة ، فتُضـحكنا هيئته ولا تُقنعنا خُطْبَته .

لذلك يجب « علينا أن نتذكر دائمًا ونحن نُحَاور أنفســـنا أو نُحَاور الآخرين أننا نعمل لصالح حضارة بعينها – دون أن يعني ذلك انغلاقها وتقوقعها وعرقيتها المُتَعَصِّبة – هي الحضارة العربية ؛ ولذا ليس يقل خطرًا ولا سـوءًا عن التقوقع والانغلاق أن نجتث شـخصـيتنا الثقافية من الجذور ونستبدل بها ثقافة أخرى ، ومن هنا تظهر وعورة الطريق » [2].

ومن ثمَّ يُصبح الاستلحاق (بالآخر) فقدًا للهوية و(الذات) ؛ لأنه تعبير بلسانه وتفكير بعقله ، وقد نَتَجَ عن هذه الفوضى – فوضى استخدام المصطلحات بغير اكتراث لمضمونها وتاريخها – التسمُّح في قبول مصطلحات أجنبية ، يتوهم بعض الباحثين أنها مرادفة تمامًا للمصطلح العربي ، كأن يصبح مصطلح (المجاز) العربي مرادفًا لعدة مصطلحات أجنبية من قبيل : الانزياح (l'ecart) ، والانحراف (La deviation) ، والاختلال (La distorsion) ، والانتهاك (Le viol) ، والشناعة (Le scandale) ، والتجاوز (l'abus) [3] .

« إن أي منهج نقدي ظهر في أوروبا إنما ظهر أصلاً لحل مشاكل واقع اجتماعي معين ، بمعنى أن هناك واقعًا أدبيًّا معينًا لا بد للناقد أن يتعامل معه ... والناقد الأوروبي يستمد منهجه وأدوات هذا المنهج من خلال رؤية للحياة شَكَّلَتْهَا مرحلة حضارية يعيشها مجتمعه ، ومن ثَمَّ ، يحل مشكلة النص الأدبي في ضوء هذه الرؤية ... وإذا كان هذا المنهج جزءًا من واقع أدبي معين فكيف يمكن فرضه على واقع أدبي آخر له مشكلاته كالأدب العربي ؟ إذن فالمنهج المشروط بواقع أدبي معين ، وبرؤية معينة للعالم ، وبمشاكل اجتماعية معينة ، يصبح فرضه على الواقع الأدبي العربي ظُلْمًا » [4]. وهذا ما التفت إليه محمد مندور حين قال : « فعندما نريد درس الأدب العربي يجب أن نكون من الفطنة بحيث لا نحاول أن نطبق عليه آراء الأوروبيين وقد صاغوها لآداب غير أدبنا » [5].

فلكل أُمَّة خصوصية تتجلَّى في تراثها ، وحضارتها ، ومصطلحاتها ؛ لذا « نرتكب إثمًا لا يُغْتَفَر حينما ننقل المصطلح النقدي الغربي ، وهو مصطلح فلسفي بالدرجة الأولى ، بكل عوالقه المعرفية إلى ثقافة مختلفة ، هي الثقافة العربية ، دون إدراك للاختلاف »[6].

ويُعَدُّ ذلك جهلاً بخصوصية المصطلح العربي ، وإخلالاً بوظيفته من حيث كونه « آلية ضبط وتحديد للدلالة » [7] ، كما يؤدي هذا التجوُّز إلى تفريغ المصطلح العربي من دلالاته وتاريخه الثقافي والحضاري الذي شَكَّلَ وجدَانَ النَّاس ، وإعطائه دلالات أخرى ليس بينها وبين المصطلح الأصل أية رابطة ، كأن يصبح مصطلح مثل " الأصولية " مرادفًا للتطرُّف لدى الغربيين ومَنْ شايعهم ، عن طريق ربطه بحوادث مُضَادة تمامًا لدلالة المصطلح التراثية ، التي تعني الالتزام بأصول التشريع الإسلامي ؛ فيجاريهم بعض الكُتَّاب والمفكرين العرب في استخدام المصطلح بدلالاته الجديدة المُحَرَّفة ، وهذا ما يعكس « التسلُّط المعرفي الذي تمارسه ثقافة الآخر من استبداد وهيمنة ، ونقل خصائص حضارته وأنماط تفكيره وطراز حياته » [8] إلينا ؛ ذلك لأن

الثقافة منتوج يحمل هوية المنتِج وسمات واقعه ، وهكذا يخلق اضطراب المصطلح في مجالات ثقافتنا العربية كافة ضربًا من الفوضى والتخبُّط في استيعاب ثقافة الآخر .

ومن اللافت للنظر أن قضية المصطلح لم تَغِبْ عن علمائنا الأقدمين ؛ فقد فطن أبو حامد الغزالي إلى خطورة تفريغ المصطلحات مِنْ مدلولاتها عن طريق التصرُّف فيها بالتخصيص أو نحوه ؛ مما يذهب بأصالة المصطلح ، ويبعده عن كنهه ، فنراه يتحدث عن مصطلح " الفقه" ، وكيف أصبح مرادفًا لمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى ، والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها ، بينما كان اسم " الفقه" يُطْلَق على علم الآخرة ، ومعرفة دقائق آفات النفوس ، ومُفْسِدَات الأعمال ، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا ، وشدة التطلُّع إلى نعيم الآخرة ، واستيلاء الخوف على القلب ، وما يحصل به الإنذار والتخويف ، ويدل على ذلك قوله عز وجل : {لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَومَهُم إِذَا رَجَعُوا إليهِم } [9] ، وقوله تعالى : { لَهُم قُلُوبٌ لا يَفْقَهُون بِهَا} [10] ، وأراد بالفقه « معاني الإيمان دون الفتاوى » [11].

ومن الشواهد على اهتمام علمائنا الأوائل بقضية المصطلح ، تلك الكتب التي وضعوها في حدِّ التعريفات ، مثل كتاب " الفروق اللغوية " لأبي هلال العسكري ، وكتاب " التعريفات " للجرجاني .

ونحن نستعمل المصطلح في فكرنا المعاصر بوصفه « دمغات وأختام جاهزة تتسع دلالاتها في حدِّ النُّصرة والتأييد إلى حدِّ المعارضة والرفض » [12] ، مبهورين بما يطلق عليه الثورة الثقافية (Cultural Revolution) ، التي تُوهِمُ أنها تُتِيحُ استخدام مصطلحات الأغيار بحرية ودون تقيُّد .

بينما استطاع علماؤنا الأوائل أن يُسَيطِرُوا على مصطلحات (الآخر) الدخيلة ، ويُهَيمنوا عليها ، ويُدْمِجُوها في ثقافتنا بما حازوه من أدوات تُمَكِّنُهُم من ذلك ، وتراثنا العباسي شاهدٌ على ذلك كله .

ولذا فلا غضاضة في استعمال مصطلحات (الآخر) على سبيل الاستعارة ، ما دُمْنَا نراعي شروط هذه الاستعارة وضماناتها ، من اليقظة الفكرية والملكة النقدية الواعية .

ويرى بعض النُّقَّاد أن السبيل إلى ذلك يكون عن طريق جعل المفهوم « الذي ننقله من ثقافة أخرى ، يسكن منزلنا ويتكيف مع نظامه ومعطياته ؛ حتى يستطيع التعبير فيه وعنه تعبيرًا

مطابقًا دون تشويه للتعبير عن المضامين التي يعرض لها المفهوم المحلي » [13] ، على أن هذه العملية « رهينة قوة وضعف الثقافة واللغة الدامجة » [14] .

بينما يرى آخرون أن المنهج السليم في فهم وترجمة المصطلح الأجنبي هو تحديد دلالات أيَّ مفهوم بالرجوع إلى جذوره في لغته الأُم ، وتتبُّع دلالاته في مصادرها الأساسية ، ومحاولة تجريد هذه الدلالات ، ثُمَّ إعادة دمجها في الواقع المعاصر ، بل خلعها من ظلال المكان والزمان ، واختلاف الخبرات والوقائع ، وذلك دون الافتئات على ماهية المفهوم وجوهره ، بل صقل الجوهر وتنقيته من الشوائب ؛ سعيًا للوصول إلى المعنى الحقيقي المُجَرَّد من خصوصيات الاستعمال التاريخي[15] .

وأرى أنه ينبغي أن نستوعب مصطلحات الآخرين[16] في سياقاتها التاريخية والثقافية ومدلولاتها الفكرية ، وإذا أردنا توظيف هذه المصطلحات في لغتنا ؛ فلا بُدَّ أن نكون على وعي بتلك السياقات والمدلولات ، وفضلاً عن ذلك ننقل هذه المصطلحات دون ترجمة ؛ حتى لا نقع في بلبلة بسبب تعدُّد الترجمات ، إلا إذا كان مَنْ يتولى عملية الترجمة أو التعريب على علمٍ تامٍّ ودراية كافية بالأصول الأبستيمولوجية لهذه المصطلحات .

المبحث الأول : في مُشْكِل مصطلح السخرية :

عَـرَّفَ أرسطو الإنسان بأنه (حيوان اجتماعي) ، أو (حيوان ضاحك) ، ويميل بعض الباحثين إلى الربط بين القدرة على الضحك ، والقدرة على التعبير اللغوي ؛ فيقول إن الإنسان حيوان ضاحك ؛ لأنه حيوان مُفَكِّر أو حيوان مُتَكَلِّم [17].

ومن ثَـمَّ فإن الضحك من أخصّ خصائص الموجود البشري كما يقول رابليه[18]، وهذا يعني أن السخرية فن مُفَارِق للضحك ، وليس كل ساخرٍ ضاحك ، وليس كل ضاحكٍ ساخر ؛ فالسخرية فن أكبر من القدرة على الضحك ، لها أسباب وبواعث تفوق مجرد انفعالات نفسية موجبة .

ولقد اتسمت محاولات دراسة السخرية في جُلِّها بالطابع التطبيقي ؛ فاتجه عبد الحليم حفني في بحث " أسلوب السخرية في القرآن " إلى رصد وجود الظاهرة في القرآن الكريم ، وخرجتْ دراسته بعيدة عن استعمال ما أقرته النظريات اللغوية من مصطلحات وتصوُّرات .

وظهرت دراسات أخرى توقفت عند السخرية أو عند مرادفاتها مثل : " المفارقة في القص العربي المعاصر" لسيزا قاسم [19] ، و" المفارقة " لنبيلة إبراهيم [20] ، و"في الأدب الإسباني ؛ السخريات في روايات بابيستير " لعبد الفتاح عوض[21] ، و" بلاغة السخرية الأدبية " [22] لمحمد العمري ، و" المفارقة القرآنية " لمحمد العبد [23] ، وهي أول دراسة مُوَسَّعة في العربية تَدْخُل إلى المفارقة تنظيرًا وتطبيقًا من مدخل لغوي متخصص .

ولتحديد مفهوم (السخرية) ودلالات المصطلح في اللغة العربية ، وما يقابله في اللغة الأجنبية ، لا بُدَّ من استقراء المعاني والتعريفات اللغوية في اللغة العربية أولاً ، ثُمَّ استقراء المصطلحات الأجنبية التي تبدو متشابهة أو مطابقة للمصطلح العربي ، مثل : (Irony – sarcasm – satire) ، بالعودة إلى تتبُّع جذورها ودلالاتها في مصادرها الأساسية ثانيًا ، ومعرفة سياقاتها للوقوف على ماهيتها ثالثًا ، ثُمَّ مقابلتها بالمصطلح العربي لمعرفة المصطلح الأجنبي المناسب لمصطلح السخرية رابعًا .

لأنه من الضروري تحديد ماهية الأشياء ، قبل الخوض في أي نقاش حول الأشياء ذاتها .

أولاً : السخرية لغةً :

تتعدد معاني السخرية في اللغة العربية ؛ فهي تحمل المعاني الآتية :

[1] الاستهزاء :

جاء في لسان العرب : سخر منه وبه سَخْرًا ، وسَخَرًا ، وسُخْرًا ، وسِخْرِيًّا ، وسُخْرِيًّا ، وسُخْرِيَّة ، أي هَزِئَ به .

ويروى بيت أعشى باهلة على وجهين : (من البسيط التام)

إِنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لا أُسَرُّ بِهَا مِنْ عَلْوَ ، لا عَجَبٌ مِنْهَا وَلا سُخْرُ

ويروى ولا سَخَرُ . قال ذلك لما بلغه خبر مقتل أخيه المُنْتَشِر [24].

فالهُزْء سخرية ، وهو شائع ومستعمل بهذا المعنى عند الشعراء .

[2] التذليل :

تُطْلَق كلمة السخرية – أيضًا – ويراد بها : التذليل .

جاء في لسان العرب : سخّرتُه ، أي : ذللتُه . وسفنُ سواخرُ : إذا أطاعت وطاب لها الريح . وأنشد ابن منظور : (من البسيط التام)

سَوَاخِرٌ فِي سَوَاءِ اليَمِّ تَحْتَفِزُ

[3] الضحك :

من المعاني التي وُضِعَ لها لفظ السخرية – أيضًا – : الضحك .

يقول صاحب اللسان : السُّخْرة : الضُّحْكَة . ورجلٌ سُخَرَةٌ : يسخر من الناس . ورجلٌ سُخْرةٌ : يُسْخَرُ مِنْهُ [25].

والضحك هو انبساط الوجه ، وتكشُّر الأسنان من سرور النفس ، ولظهور الأسنان عنده سُمِّيَتْ مقدمات الأسنان الضواحك ، وقيل ضحكت منه ، ورجل ضُحْكة يَضْحَكُ من الناس ، وضُحْكَة لمَنْ يَضْحَكُ منه .

واُسْتُعْمِلَ الضحك بمعنى السخرية في القرآن الكريم ، في قوله تعالى عن فرعون وقومه : { فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُون } [26]، وقوله عز وجل مخاطبًا أهل النار : {إِنَّهُ كَانَ فَرِيقًا مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَّا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّاحِمِينَ ، فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُون} [27].

ويوم القيامة يضحك المؤمنون من مصير الكافرين ؛ فيردون عليهم ضحكهم وهُزْأَهم كما في قوله تعالى : {إِنَّ الذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُون ... فَاليَومَ الذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفَّارِ يَضْحَكُون} [28].

ويُسْتَعْمَل الضحك بمعنى الهزء والسخرية ، كما يُسْتَعْمل في مطلق السرور .

وفي اللغة ألفاظ تحمل في طياتها معنى السخرية ، منها :

التهكُّم : ويعني الزراية والعبث والاستهزاء [29].

وتتماهى الحدود بين السخرية والتهكُّم ؛ فنجد المدخلين المعجميين " سَخِرَ ، هكم " تتعاورهما معانٍ متشابهة نقرأ في الأول : « سَخِرَ : سَخِرَ منه وبه : هَزِئَ » [30] ، و « سَخَّرَهُ : كَلَّفَهُ ما لا يريد وقَهَرَهُ»[31]. وليس القهر ببعيد عن معنى الهُزْء ؛ إذ يترتب على الهُزْء القهر والمَهَانة .

ونطالع في المدخل الثاني : « الهَكِمُ : المُتَقَحِّمُ عَلَى مَا لا يَعْنِيه ، الذي يَتَعَرَّض للناس بشره ... تَهَكَّمَ بِنَا : زَرَى عَلَينَا وعَبَثَ بنا » [32] .

الازدراء : يقال زَرَى عليه فِعْلَه : عَابَه ، والزَّارِي على الإنسان : الذي لا يَعُدُّه شيئًا ، ويُنْكِرُ عليه فِعْلَه [33] .

الطَّنْزُ : السخرية ، طَنِزَ يَطْنَزُ طَنْزًا : كَلَّمَهُ باستهزاء [34] .

الدُّعَابة : المُزَاح ، واللَّعِب [35] .

الهَزْلُ : نقيض الجِدّ ، ويقال : فُلانٌ يَهْزِلُ في كلامه : إذا لم يكن جادًّا [36] .

وتَجْمَع ردود الفعل المتمثلة في الضحك أو الرغبة فيه بين السخرية والفكاهة على تفاوت ، فقد يُغَلَّف الضحك بالمرارة في السخرية ، تاركًا خلفه جِرَاحًا غائرة ، وقد يَخْلُص الضحك ويَصْفُو في الفكاهة ، ومدار الأمر على قصد القائل ؛ لأن « هذا العنصر قد يتراوح في درجات عُنْفُه وقُوَّتِهِ بين العُدْوَان العنيف ، والتدليل اللين » [37].

وغيرُ خافٍ أن « الابتسام والضحك والمرح والفكاهة والمُزَاح والدُّعَابة والهَزْل والنكتة والمُلْحة والنادرة والكوميديا إن هي إلاّ ظواهر نفسية من فصيلة واحدة ، وكلها إنما تصدر عن تلك الطبيعة البشرية المتناقضة ، التي سرعان ما تمل حياة الجِدّ والصرامة والعبوس ؛ فتلتمس في اللهو ترويحًا عن نفسها ، وتبحث في الفكاهة عن منفذ للتنفيس عن آلامها ، وتسعى عن طريق النكتة نحو الهرب من الواقع الذي كثيرًا ما يُثْقِلُ كاهلها » [38].

ثانيًا : المعنى الاصطلاحي :

أما بالنسبة لموقف الباحثين مِنْ وضع حَدٍّ جامعٍ مانعٍ لها ؛ فقد وردت تعريفات كثيرة للسخرية ، منها :

« فن إبراز الحقائق المتناقضة والأفكار السلبية في صورة تُغْرِي بمقاومتها ، والردّ عليها، وإيقاف مفعولها من غير أن يلجأ إلى الهجوم المباشر ، أو يبدو في موقف يكون فيه هدفًا للانتقام » [39] .

« العنصر الذي يحتوي على توليفة درامية من النقد ، والهجاء ، والتلميح ، واللماحية ، والتهكُّم ، والدُّعَابة ، وذلك بهدف التعريض بشخص ما ، أو مبدأ ما ، أو فكرة أو أي شيء ، وتعريته بإلقاء الأضواء على الثغرات والسلبيات وأوجه القصور فيه » [40].

وعَرَّفَها نعمان محمد أمين طه بأنها : « النقد المُضْحِك ، أو التجريح الهازئ » [41].

ويُعَرِّفُها آخرون بأنها : « شكل من أكثر أشكال الفكاهة أهمية ، وهدفها – عمومًا – مهاجمة الوضع الراهن في الأخلاق والسياسة والسلوك والتفكير » [42].

فهي طريقة من طرق التعبير ، « يستعمل فيها الشخص ألفاظًا تقلب المعنى إلى عكس ما يقصده المتكلم حقيقة ، وهي صورة من صور الفُكَاهة تعرض السلوك المعوج أو الأخطاء التي إن فطن إليها وعرفها فنان موهوب تمام المعرفة ، وأحسن عرضها ، تكون حينئذٍ في يده سلاحًا مميتًا » [43] ، وهي أرقى أنواع الفكاهة ، وبها يتمكن المتكلم من التعبير عن عكس أو غير ما يقصده ، كقول المتألم أو المظلوم : ما أسعدني ! [44].

ويعرفها آرثر برجر بأنها « أحد أشكال المقاومة ، أو قوة خاصة للمقاومة » [45].

وعَرَّفَهَا بعضهم بأنها « طريقة في التهكُّم المرير ، والتندُّر أو الهجاء الذي يظهر فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان ، ورُبَّما كانت أعظم صور البلاغة عنفًا وإخافة وفتكًا » [46].

لذا فقد « أصاب علم المنطق الحديث والباحثون فيه بقولهم : لا يُمْكِن تعريف شيء من الأشياء على وجه الأرض تعريفًا جامعًا مانعًا ؛ لأن الشيء الحي لا يمكن الإحاطة به وتصويره ببعض ألفاظ قاصرة ؛ إذ هو حي متحرك ، والألفاظ مهما تكن جامدة ساكنة » [47].

ثالثًا : مفهوم المفارقة :

أما بالنسبة للمفارقة ؛ فقد تعددت تعاريفها وكثرت ؛ فأصبحت – كما يقول د . سى . ميوك (D.C.Mueck) – تعني في عصرٍ ما غير ما تعنيه في عصرٍ آخر ، ورُبَّمَا كانت تعني في قطرٍ ما غير ما تعنيه في قطرٍ آخر ، ولا تعني في الشارع ما يمكن أن تعنيه في قائمة الدرس ، ولا عند باحث ما تعنيه عند باحثٍ آخر .

ومن ثَمَّ يُمْكِن تشبيهها بسفينة ألقت مراسيها ، لكن الرياح – وهي قوى متغيرة ودائمة – تسحبها رويدًا عن مراسيها .

وقد فَارَقَ كُلٌّ مِنْ آيرون (Eiron) وآلازون (Alazon) في الملهاة اليونانية طبيعته عن طريق التظاهُر والادعاء ؟!

وتَعْنِي المُفَارقة التظاهُر باتخاذ وجهة نظر الآخرين ، وتظاهُر الإنسان بمفارقة رأيه ، والتخلي عنه ؛ ليجرَّ خصومه إلى الخطأ ؛ سخريةً منهم ، كما أوضح (A.F.Scott) [48] ؟! أليس قولك للمسيء : أحسنت ! مفارقًا ومباينًا لغرضك ونيتك في السخر منه ؟

ونجد مثل هذا النوع من المفارقة في ديوان أمل دنقل الأخير ؛ فقد تحولت سخريته إلى ضحك نسمعه بوضوحٍ حين يقول :

(وطنى لو شغلت بالخلد عنه ..)

(نازعتني – لمجلس الأمن– نفسي)

نم يا صلاحَ الدين

نم .. تَتَدلى فوقَ قَبرِك الورودُ ..

كالمظلّيين !

ونحنُ ساهرونَ في نافذةِ الحَنينْ

نُقشّر التُفاحَ بالسِّكينْ

ونسألُ اللهَ "القُروضَ الحسَنه"!

فاتحةً :

آمينْ [49].

ولا غرو فقد اســتخدمها المتنبي قبلاً قاصــدًا من ورائها الســخرية ، فهذا قوله في مطلع النسيب من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويعتذر له :

مَتَى تَزُرْ قَومَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لا يُتْحِفُوكَ بِغَيرِ البِيضِ وَالأَسَلِ [50]

حيث فَارَقَ الفعل " يُتْحِفُوكَ " معناه المعجمي ، وانحاز إلى معنى آخر ســـاخر ، فالمعروف أن التُّحْفَة تكون بالشـــيء الطيب الذي يُقْتَنَى ، ولكنَّ أبا الطيب جعلها هنا الســـيوف والرماح ؛ ليسـخر من مصـير هذا الزائر الذي مَنَّى نفسـه بزيارة مثل هذه المحبوبة التي هي في منعة من قومها ، سُنَّة العرب في حماية حريمها .

وإذا كانت المفارقة في الفلسفة تعني إثبات قول ، يتناقض مع الرأي الشائع في موضوع ما ، بالاســـتناد إلى اعتبار خفي حتى وقت الإثبات ، وإذا كانت المفارقة الزمنية : هي وضـــع الشـيء أو الحادثة الحاضـرة في غير مكانها التاريخي [51] ؛ فإن المفارقة في ميدان الأدب تعني وضــع الكلمة في غير معناها المعجمي في ســياق معنى مُغَاير ، كوضــع البشــارة في موضــع العذاب ، والزيارة في موضع الحرب والعداء ؛ بغرض السخرية .

رابعًا : مصطلح (Irony) وإشكاليات الترجمة :

أما بالنسبة للبحث فى تاريخ أول هذه المصطلحات الأجنبية التي يجعلها بعض الباحثين مرادفًا لمصــطلح الســخرية ، وهو مصــطلح (Irony) ؛ فقد وردت هذه الكلمة « لأول مرة في جمهورية أفلاطون في القرن الرابع الميلادي ، حيث كانت تعني أسلوبًا معينًا في مؤاخذة الناس –

لإظهار أخطائهم – في محادثات أفلاطون ، هذا الأسلوب الذي أخذه عن أستاذه سقراط ، وطوَّرَهُ في مجادلة خصـــومه ومُجَادِلِيه ؛ حتَّى أصـــبحت هذه الكلمة (Irony) تعني " المُدَّعِي" أو " المُتَظَاهِر بالغفلة والجهل " ؛ حيث كان سقراط يأخذ في سؤال الخصوم أسئلة ساذجة وبسيطة مُدَّعِيًا الغفلة متظاهرًا بالجهل ؛ ليصـــل من خلالها إلى إيقاعهم في الخطأ والتدليل على خطأ آرائهم ؛ فيجرهم بذلك إلى الاعتراف بعكس ما يزعمون ، وتلك هي المفارقة الســـقراطية (Socratic Irony) » [52].

فقد عاش سقراط في صراع مرير مع السوفسطائيين ، الذين هدفوا إلي غاية محددة هي التلاعب بالحقيقة وتضـــليل الناس . وانبري الفلاســـفة الســـقراطيون لمقاومة تلك المفاهيم الســوفســطائية المُضَــلِّلَة ، خلال مفهومهم للعدالة ؛ فقام أفلاطون بطرح مشكلة العدالة والثبات والتغيُّر ونظرية المثل ، مســتخدمًا في حواراته الســخرية الســقراطية أســلوبًا للتنقية من الكبرياء والادعاء ، وإعمال النقد من أجل معرفة الذات الحقيقية .

ويُسَفِّهُ سقراط هذا الأسلوب ، ويعترف بعجزه عن فهم الموضوع المطروح ، فيلقي أسئلة استفهامية متسلسلة علي السوفسطائيين الماكرين ؛ لكونه يري الغموض في أجوبتهم ، فنري أن احتقار الســوفســطائيين له في ازدياد ، ولكن ســرعان ما يدلهم إلي أنهم وقعوا في التناقضــات ، وبرهنوا عن جهلهم وادعائهم الفارغ ، ويكشف لهم سمو أسئلته وعمقها ؛ فترتد السخرية عليهم [53] .

وعند الرجوع إلى « قاموس أكسفورد » وجدناه يشير إلى أن مصطلح (Irony) مشتق من الكلمة اللاتينية (Ironia) ، التي تعني التخفي تحت مظهر مخادع ، والتظاهر بالجهل عن قصد ، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

1. هو شكل من أشكال القول يكون المعنى المقصود منه عكس المعنى الذي تُعَبِّرُ عنه الكلمات المســتخدمة ، ويأخذ – عادةً – شــكل الســخرية ؛ حيث تُسْــتَخدم تعبيرات المدح ، وهي تحمل في باطنها الذم والهجاء .
2. نتاج متناقض لأحداث ، كما في حالة السخرية من منطقية الأمور.
3. التخفــي تحــت مظهــر مخــادع ، أو الادعــاء والتظــاهر ، وتُسْــتَخْدم الكلمــة – بشكلٍ خاص – للإشارة إلى ما يُسَمَّى بـ " المفارقة السقراطية " من خلال ما عُرف بفلسفة السؤال ، وكان سقراط يستخدمها ليدحض حُجَّةَ خَصْمِهِ [54] .

أمـا «معجـم تـاريخ الأفكـار» فإنـه يُعَـرِّف (Irony) بأنهـا ذلـك التصـارُع بـين معنيـين : المعنـى الأول هـو الظـاهِر الـذي يُقَـدِّم نفسـه بوصـفه حقيقـة واضـحة ، لكـن عنـدما يتكشـف سـياق هـذا المعنـى ، سـواء فـي عمقـه أو فـي زمنـه ؛ فإنـه يفاجئنـا بالكشـف عـن معنـى آخـر متصـارع معـه ، هـو – فـي الواقـع – فـي مواجهـة المعنـى الأول الـذي أصـبح الآن وكأنـه خطـأ ، أو معنـى محـدود علـى أقـل تقـدير ، وغيـر قـادر علـى رؤيـة موقفـه الخاص[55] .

ولا تفيـد كلمـة (آيرونيئيـا) عنـد كيكيـرو (Cicero) مـا تفيـده الكلمـة الإغريقيـة مـن معـاني الإسـاءة ، فهـي تظهـر لديـه إمـا علـى شـكل صـيغة بلاغيـة (The Rhetorical Figure) ، أو علـى شـكل ذلـك (التظـاهر المتمـدِّن) العجيـب عنـد سـقراط ؛ عـادة المراوغـة فـي الحـديث ؛ لـذلك عنـدما نسـتخدم كلمـة (مفارقـة) فـي وصـف طريقـة سـقراط ، يكـون مفهومنا عن المفارقة رومانيًّا وليس إغريقيًّا [56] .

يقـول إداورد ب . ج . كوربـت : « السـخرية أن تنقـل الكلمـة معنـى يتنـاقض ومعناها الحرفي » [57] .

فالقلب الدلالي (Semantic Inversion) ، أو التناقُض بين المعنى الحرفي المُحَصَّـل من المعاني المعجمية مضـافًا إليها العلاقات النحوية من جهة ، والمعنى المقصـود المُسْـتَفاد من السـياق من جهة أخرى ، أضـحى مكونًا جوهريًّا من مكونات السـخرية عند أصـحاب المنحي التقليدي في دراسة السخرية ، وقد نبع من هذا المنحي اتجاه نفسي وآخر لغوي خالص [58] .

وهنا تظهر المفارقة المتمثّلة في تظاهر سقراط الذكي بالجهل والغباء ؛ ليفضح جهل مُدَّعِي الذكاء ؛ حيث فَارَقَ تظاهُره بالجهل حقيقته التي تنطوي على الذكاء ، وهذا ما يؤكده الأصـل اليوناني للكلمة وهو ايرونيا (eironeia) ، التي أُشْـتُقَّ منها المصـطلح الأدبي ؛ حيث كانت وصفًا لأسلوب إحدى الشخصيات بالملهاة اليونانية القديمة يسمى آيرون (Eiron) ، الذي كان يتسم بالضعف والقصر ، ولكنه شديد المكر والذكاء ، وقد استطاع أن يتغلب على شخصية الآلازون (Alazon) الأحمق الفخور ، وذلك عن طريق التظاهُر بالجهل ، وإخفاء ما يمتاز به من قدرة وذكاء [59] .

وإذا كانت الجذور التاريخية لكلمة ايرونيا (eironeia) في المصـادر اليونانية القديمة تعني أسلوبًا معينًا في الادعاء والتظاهُر بغير الحقيقة ، كما رأينا في شخصيتي آيرون والآلازون

؛ فإن المعنى الاصطلاحي لكلمة (Irony)[60] لا يكاد يخرج عن هذا الأصل الاشتقاقي للكلمة ، فقد أصبحت « تُسْتَخدم للقضاء على المظهر الزائف ولفضح التضخيم الفكري » [61] الذي يستر وراءه خواءً وتظاهُرًا بادعاء المعرفة ، كما غدا من وظائفها « التعبير عن الصراحة ، وإن اتخذ هذا التعبير أسلوبًا غير مقبول – لاذعًا – أحيانًا ؛ ولذلك أدخلها توماس مور Thomas (More) في مدينته الفاضلة (Utopia) » [62] ، كما استخدم « بُلَغَاء اليونان – خاصة (quintilian) و(Cicero) – هذه الكلمة (Irony) بوصفها أسلوبًا من بلاغة الخطاب الأدبي ، يحمل معنى مناقضًا لما تدل عليه الكلمات » [63] في معناها المعجمي المعروف ، كقوله تعالى في الكافرين المكذبين بيوم الدين : { وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضَّالِينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيم } [64] .

فجعل النُّزُل ، أي ضيافتهم وما هُيِّئ لهم من الحميم ، فكلمة (نُزل) في الآية الكريمة حملت معنى متناقضًا تمامًا لدلالتها اللفظية ؛ من أجل السَّخَر من هؤلاء المُكَذِّبين .

لذا يرى (A.F.Scott) أن المعنى المقصود من كلمة (Irony) هو نقيض ما يقال ، كما تعني كذلك التظاهُر باتخاذ وجهة نظر الآخرين ، بغرض التهكُّم بهم ، وهذا هو الأسلوب الذي اعتمده الكاتب الإنجليزى سويفت (Swift) في كتابه " دفاع عن المسيحية " (Aragument Against Abalishines christianity) ؛ حيث ظَهَرَ للقارئ زيف مَنْ لم تتأصل المسيحية في نفوسهم ومُدَّعِي التديُّن .

ولذلك شَبَّهَ سويفت (Swift) الـ (Irony) بألواح الزجاج الشفاف ، الذي يُمَكِّن الناظرين من اكتشاف حقيقة كُلَّ وجهٍ ، وإن اعتقد الآخر أنه قادر على إخفاء نفسه ، وذلك في مقدمة كتابه "حَرْب الكُتُب" (The fottle of the Books) [65] .

ومن ثَمَّ عَدَّ بعضُ الباحثين أسلوب Irony أسلوبًا فطريًّا في كل الآداب الإنسانية شعرًا ونثرًا ؛ إذ إنها (Irony) جزءٌ من الفطرة الإنسانية في لحظات تتقنع فيها الذات الإنسانية أقنعة مختلفة بُغْية المواربة أو المناورة اللفظية [66] .

وإذا نظرنا في تاريخ مصطلح (Irony) في الآداب الأوربية الحديثة وجدناه تطوَّرَ تطوُّرًا تدريجيًّا منذ سنة 1750م ، على يد مجموعة من الكتاب الإنجليز والأوربيين الساخرين ، أمثال : دريدن (John Dryedn) ، وسويفت (Swift) ، وفولتير (Voltaire) ، وبوب (pope) ، وفلدنج (Hienry Fielding) ، وبن جونسون (Ben Johnson) ، وغيرهم .

ويُعَدُّ دريدن (Dryden) في طليعة الكُتَّاب الذين استخدموا هذه الكلمة (Irony) بمعناها الاصـطلاحي في الأدب الانجليزي ، كذلك اسـتخدمها نظيره الفرنسـي ميوك في مقالاته ؛ لتعبر عن أفكاره تجاه كلمات تبدو مشابهة لها في المعنى ، مثل : (Mouk , Scron . Rial Jeer . Fleer) [67] ، وهي كلمات سـوقية تدل على السُّـبَاب السـاخر ، ومنذ ذلك الحين – سـنة 1750م – توالت الأعمال والمقالات التي تتناول مصـطلح (Irony) بالنقد والتحليل في أعمال قدماء الكُتَّاب والشـعراء ، أمثال : سـوفوكليس (Sophocles) وغيره ، من قِبَل النقاد الإنجليز الذين نظروا في أعمال هؤلاء القدماء إلى طبيعة المفارقة الضـدية (Paradoxicol nature of Irony) ، فعلى سبيل المثال قام فريدرك شليجل (Friedric Rich) بدراسة بعض مسرحيات شكسبير (Shakespeare) ، كمسرحية الملك لير (King lear) .

ثُمَّ توالت الدراسـات في هذا المصـطلح (Irony) ، الذي أصـبح أسـلوبًا مميزًا لكثير من أدباء وكُتَّاب القرنين : الثامن عشـر والتاسـع عشـر ، الشـاخصـينَ – آنذاك في كتاباتهم بهذا الأسـلوب – إلى تعرية الحقائق في مجتمعاتهم ، وفضـح الزيف ، عن طريق التظاهُر بالجهل والحُمْق من خلال شخصيات قصصهم ، وهو نفس الأسلوب الذي كان يلجأ إليه آيرون (Eiron) الذكي المتظاهر بالجهل والغباء في الملهاة اليونانية القديمة ؛ للتغلب على خَصْـمِه الآلازون (Alazon) الفخور الأحمق ؛ وذلك لكشف صور النقص والتشوُّه في مجتمعاتهم المأزومة آنذاك ، ومن هؤلاء الكُتَّاب : الروسـي الشـهير تولسـتوي (Tolstoy) ، والإنجليزي شـارلز دكنز (Charles Dickens) ، والفرنسـي السـاخر موليير (Moliere) ، وغيرهم من مشـاهير الكُتَّاب [68] ، الذين اعتمدوا على أسـلوب (Irony) في إظهار تضـاد أقوالهم وأفعالهم ومفارقتها لواقعهم وتصرفاتهم الحقيقة .

وعلينا أن نلاحظ أن نشـأة هذا المصـطلح (Irony) في الملهاة اليونانية بوصـفه أسـلوبًا لفضح زيف الخصوم ، يضفي عليه نوعًا من الفكاهة (Humour) [69] ، التي هي جوهر الملهاة .

وبعد هذا التقصـي السريع لتاريخ مصطلح (Irony) في سياقاته في لغته الأُم اليونانية ، ثُمَّ كيفية اسـتخدام النُّقَّاد والأدباء الأوربيين له ، بطريقة لا تُخْرِجُهُ عن دلالته التاريخية الموروثة عن الملهاة اليونانية القديمة ؛ فإنه ربما جاز لي أن أضـع – في كثير من الاحتراز – هذا المصـطلح الأجنبي (Irony) مقابلاً في العربية لمصـطلح (المفارقة)[70] اتفاقًا مع ما ذهب إليه

غير باحث ممن تواضعوا على هذه الترجمة العربية للمصطلح الأجنبي ، مثل : سعيد شوقي في كتابه " بناء المفارقة في المسرحية الشعرية " ، وسيزا قاسم في دراستها " المفارقة في القص العربي " ، وخالد سليمان في دراسته " نظرية المفارقة "[71] ، ويأتي هذا الاحتراز نتيجة لمراوغة المصطلح الأجنبي (Irony) ، ووجود تشابه بينه وبين مصطلحات أخرى مثل : (Mouk , sarcasm) ، فضلاً عن ترجمة عدد من الباحثين لهذا المصطلح " بالسخرية " وليس "بالمفارقة" .[72]

ولعلَّ هذا التعدُّد في الترجمة مَرَدَّه إلى أن المفارقة تثير في النفس الشعور بالسخر ؛ لأنها « لعبة لغوية جاهزة ذكية بين عبقريتين ، أحدهما صانع المفارقة والآخر قارئها ، بطريقة يُقَدِّمُ فيها صانِع المفارقة ... المعنى الخفي الذي هو غالبًا المعنى الضد » [73] ، بأسلوب يستثير القارئ ويدعوه إلى رفضه .

كقوله تعالى : {بَشِّرِ المُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيما} [74] ؛ فالبُشْرَى هنا أتت مكان الإنذار ؛ فالأصل إنذار المنافقين ، ففَارَق فعل البُشْرَى معناه ، وجاوزه إلى معنى آخر ؛ مفارقةً لغرض السخرية من هؤلاء المنافقين ؛ وذلك « لأن الشيء المألوف لا يُضْحِك ، أما الشيء الذي يُغَايِر المعهود والمألوف ، فقد يثير اشمئزازًا ، وقد يثير ضحكًا ؛ لأنه يُعَدُّ نوعًا من فقدان التوازن المنشود » [75].

فقد يصنع أحدنا معروفًا في شخصٍ ما ، ثم يتنكَّر له هذا الرجل ، عندئذٍ تتنبَّه أحاسيس المقارنة بين العمل ونتيجته من جهة ، وما كان يجب أن يكون من جهة أخرى ؛ « فيبدو الموقف مثيرًا للسخرية ؛ لأنه عَجَزَ عن التوافُق مع الخصال الإنسانية المعقولة أو مع المُثُل العليا » [76] .

والمفارقة أداة من أدوات السخرية ، والسخرية (Sarcasm) غاية من غايات المفارقة (Irony) ؛ لذا نستطيع أن نجد وراء كل مفارقة (Irony) سخرية (Sarcasm) ، وليس العكس . [77]

وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت المفارقة (Irony) « بشكل عام من المصطلحات الأدبية التي تستعصي على الدخول في إطار تعريف جامع مانع ، وتُراوغ أي محاولة للصياغة في قالب محدد ، على عكس كثير من مصطلحات الأدب والنقد الأخرى ، فليس هناك تعريف يُغَطِّي كل عنصر من عناصر هذا المصطلح وطبيعته الغامضة » [78] .

ورُبَّما تكون المفارقة هي أنسب كلمة لترجمة مصطلح (Irony) ، لا سيما أن المعنى اللغوي للكلمة في العربية يكاد يتفق مع المعنى الاصطلاحي لها في اللغة الأجنبية ، ففي لسان العرب : « فَارَقَ الشيءَ مُفَارَقَةً وفِرَاقًا : بَايَنَهُ ، والاسم الفُرْقَة ، وتَفَارَقَ القَومُ : فَارَقَ بَعْضُهم بَعْضًا » [79] .

خامسًا : مصطلح (Satire) :

أمَّا مصطلح (Satire) فإنه لا يتطلب نفس التقصي الذي استغرقه مصطلح المفارقة (Irony) ؛ لأنه لا يكتنفه نفس الغموض والمراوغة وتعدُّد الترجمة ؛ إذْ يكاد يُجْمِع الباحثون والمشتغلون بعلم المصطلح (Terminology) أن الهجاء هو ترجمة لمصطلح (Satire) ، ومع ذلك فلا ضير من التعرُّض لطرف من تاريخ المصطلح وسياقاته ومدلولاته في الأدب والنقد الأجنبي ؛ لعلاقته بمصطلح الدراسة السخرية (Sarcasm) ، وبالمفارقة (Irony) أيضًا ؛ لأنه رُبَّما تكون المفارقة رافدًا من روافد الهجاء ودواعيه ، فتظاهُر البخيل بالكرم ادَّعاء ، في حين أن فعله يفضح تظاهره فيدعوك إلى هَجْوه . وقد رأى المتنبي مماطلةً من كافور الإخشيدي ، الذي وعده بالولاية ؛ ثُمَّ لم يَفِ بوعده ؛ فهجاه بقوله :

جَوعَانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيَحْبِسُنِي لِكَي يُقَالَ عَظِيمُ القَدْرِ مَقْصُودُ ! [80]

وإن جاز أن نَعُدَّ المفارقة (Irony) رافدًا من روافد الهجاء (Satire) ؛ فإن السخرية (Sarcasm) ربما تُعَدّ غاية من غايات الفنين معًا ، أعني المفارقة والهجاء ، فمَنْ يستخدم أسلوب المفارقة (Irony) يهدف إلى السّخَر ، كما أن الهَجَّاء ، وإنْ كان يُسَفِّه خَصْمَهُ ؛ فإنه شاخصٌ إلى أن يجعله هُزؤة وسُخْرَة .

يقول القاضي الجرجاني : « فأما الهجو فأبلغه ما جرى مَجْرى الهزل والتهافت » [81] ؛ لذلك رأينا جريرًا يوصي كل هاج وساخر ؛ فيقول : « إِذَا هَجَوتَ فَأَضْحِكْ » [82].

ومن ثمَّ يكون الاتصال وثيقًا بين الفنون الثلاثة : المفارقة (Irony) ، والهِجَاء (Satire) ، والسخرية (Sarcasm) ، ويؤكد (A.F.Scott) هذه العلاقة إذ يقول : « إن الهِجَاء هو التعامل مع الرذيلة أو الخطأ عن طريق المفارقة أو السخرية : (It often makes use of irony and sarcasm) » [83].

وإذا كان الهِجَاء عند العرب هو ذكر الشـــخص بعكس ما يُمْدَحُ به ؛ حتى إنه « كلما كَثُرَتْ أضداد المديح في الشعر كان أهجى» [84] ، وإذا كان المديح إنما يكون بالإشادة « بالعقل والشــجاعة والعدل والعِفَّة ، كان القاصــد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصــال مصــيبًا ، والمادح بغيرها مخطئًا » [85] ؛ فإن الهِجَاء يكون بسلب هذه الخصال الأربع [86].

ودلالة المصـــطلح الأجنبي (Satire) لا تكاد تُجاوز هذا المفهوم العربي للهِجَاء ؛ فقد كان يُعْنَى في الآداب الكلاسـيكية القديمة « بنقد الأخلاق والعادات الاجتماعية » [87] ، كما وَرَدَ في المسـرحية السـاتورية الهزلية ، ولعَلَّ هذا المفهوم يدلنا على العَلاقة بين مصـطلح (Satire) الهِجَاء ، ومصـطلح (Satyrs) المسـخ ؛ حيث تذكر الأسـاطير اليونانية القديمة أن الآلهة كانوا يمسخون المُذْنِبين والخَارجين عن جادة الدين والأخلاق حيوانات عقابًا لهم ؛ فيجعلون للرجل منهم رأس حمار أو خِنْزِير على جسم إنسان إمعانًا في عقابه [88] .

وخاصية المسخ الفنى – إن جاز التعبير – تجعل الشاعر يعاقب الناس بمسخ صورهم ، كما عاقبت آلهة اليونان البشـر بتحويل مَنْ غضـبت عليه إلى صـورة حيوانية [89] ، وظهرت هذه الخاصية عند ابن الرومي بصورة كبيرة .

والمَسْـخ تغيير في الخِلْقَة ، ويدخل في الهجاء الكاريكاتيري ، ويأتي عن طريق التحريف في الملامح المُمَيِّزَة لشـــخص معين ، والمبالغة فيها بطريقة تؤدي إلى حدوث أثر مضـــحك لدى المتلقي [90].

ويذكر شـاكر عبد الحميد أنَّ التصـويرَ الكاريكاتيري « نوعٌ من الحطِّ من قدر الشـخصـية ، بالتركيز على صـــفة من صـــفاتها ، أو ملمح من ملامحها كان يَمُرُّ من دون أن يتوقف عنده أحد ؛ لأنه كان منظورًا إليه حينئذٍ في الإطار الكلي للصورة العامة ، وحين يُلْتَفَت إلى هذا المَلْمَح وحده من دون سواه ، يقع التأثير المقصود ، وهو الضـحك الذي يمتد حينئذٍ من الجزء إلى الكل ، أو إلى الشـخص نفسـه ؛ فإن لم يكن الشـخص بالفعل يشـتمل على ذلك الملمح ، فإن الكاريكاتير حينئذٍ يعمد إلى خَلْق ذلك خلقًا ، بأن يتجه إلى عنصـر ما في الشـخصـية ليس مضـحكًا في ذاته فيبالغ في تصويره » [91].

ذلك لأنَّ السـاخر « يقف عند جوانب الضـعف في جسـد شـخص أو في وجهه ويكبرها ، كأنما يريد أن يُنَمِّي الضعف أو العيب الذي يكمن فيه إلى أقصاه ؛ فنراه ينتهز فرصة مثل تقويس حاجب ، أو انحناء أنف ، أو تجعيد جبهة ، أو انتفاخ خَد ، أو طول ذقن ، أو ضـــيق عين ،

ويُكَبِّر ذلك مشوِّهًا ومستغلاً للطبيعة والخِلْقة ، وبذلك تصبح الصورة الساخرة قوية التعبير عن صاحبها ، وفي الوقت نفسه تصبح مضحكة ؛ لما أظهره الرسام من تنافُر في أوضاع الجسد أو الوجه » [92] .

ومن ذلك قول ابن الرومي في هجاء عمرو النصراني راسمًا له هذه الصورة الساخرة [93]:

(من البسيط التام)

يَا عَمْرُو فَخْرًا فَقَدْ أُعْطِيتَ مَنْزِلَةً لَيسَتْ لِقَسٍّ وَلا كَانَتْ لِشَمَّاسِ
لِلنَّاسِ فِيلٌ إِمَامُ النَّاسِ مَالِكُهُ وَأَنْتَ يَا عَمْرُو فِيلُ اللهِ لا النَّاسِ
عَلَيكَ خُرْطُومُ صِدْقٍ لا فُجِعْتَ بِهِ فَإِنَّهُ آلَةٌ لِلجُودِ وَالبَاسِ
لَو شِئْتَ كَسُبَابِهِ صَادَفْتَ مُكْتَسَبًا أَو انْتِصَارًا مَضَى كَالسَّيفِ وَالفَاسِ
مَنْ ذَا يَقُومُ لِخُرْطُومٍ حُبِيتَ بِهِ إِذَا ضَرَبْتَ بِهِ قَرْنًا عَلَى الرَّاسِ ؟
أَو مَنْ يَرَاهُ فَلا يُعْطِيكَ خِلْعَتَهُ ؟ لا تُكْذَبَنَّ فَمَا بِالصِّدْقِ مِنْ نَاسِ
حَمَلْتَ أَنْفًا يَرَاهُ النَّاسُ كُلَّهُمُ مِنْ رَأْسِ مَيلٍ عِيَانًا لا بِمِقْيَاسِ

وكما يشتدّ الهجاء في الشعر العربي ليصل حَدِّ الإقذاع والإفحاش ، يتدرج – أيضًا – في الآداب اليونانية القديمة من اللين إلى القسوة والشدة ؛ فإن أهاجي جوفناس (Juvenalian satire) أقلّ حدة ؛ حيث يتبنى الدفاع عن المُثُل العليا الرفيعة ، وأهاجي هوراس (Horalian Satire) تميل إلى الاستمتاع بحماقات الآخرين علانيةً ودون مواربة ؛ مما يجعلها سببًا في إثارة الكراهية [94].

ويرى برونوتيير أن سبب الهِجَاء « تعارُض طُرُق الآخرين في حسهم وتفكيرهم مع حسنا وتفكيرنا ، وهذا التعارض هو الذي يثير غضبنا ، أو سخطنا ، أو استشناعنا ، أو احتقارنا ، أو استهزاءنا » [95].

سادسًا : مصطلح (Sarcasm) :

إذا كان ثمَّة اختلاف في ترجمة مصطلح (Irony) ، فإن الأمر سَوَاء فى مصطلح (Sarcasm) ؛ فهناك من ترجمه بمعنى الاستهزاء [96] ، وهناك مَنْ ترجمه بمعنى السخرية [97] ، ولا غرابة في هذا ؛ لأن الأمر يتعلق بمصطلح السخرية الذي « لا يعني اليوم ما كان يعنيه في القرون السالفة ، ولا يعني نفس الشيء من بلدٍ إلى آخر ، وهو فى الشارع غيره فى المَكْتب ، وغيره عند المؤرخ والناقد الأدبي ، فيمكن أن يتفق ناقدان اتفاقًا كاملاً في تقديرهما لعمل أدبي ،

غير أن أحدهما قد يدعوه عملاً ساخرًا ، في حين يدعوه الثاني عملاً هجائيًّا ، بل قد يدعوه عملاً هزليًّا أو فكاهيًّا أو مُفَارِقًا » [98].

ومع ذلك فإنه لا مفر من تتبع المصطلح الأجنبي (Sarcasm) في لغته الأصل ومعرفة سياقاته التاريخية ودلالاته المتوارثة ومفهومه الأدبي ؛ لنقف على مدى ملاءمته للترجمة العربية التي أقَرَّها الكثيرون له وهي " السخرية " .

وتذكر المصادر الأجنبية القديمة أن كلمة (Sarcasm) مأخوذة من الكلمة اليونانية (Sarkasmas) ، التي تعني تمزيق الجسد حيًّا ، أو أن تنقد نقدًا لاذعًا ، كما استخدمت – أحيانًا – للتعنيف والتوبيخ والتقريع ، وهي عادةً ما تكون أشد وأعنف مما تكون عليه المفارقة (Irony) ؛ لأنها تبغي الإيلام [99] ، كما وُصِفَتْ – في كثير من المراجع – بأنها « تعليق لاذع أو جارح » [100] يبغي الاحتقار المُرّ [101] ، ولا يكون ذلك إلا بصدور فعلٍ من شخصٍ ما يستحق عليه هذا النقد الجارح أو التوبيخ اللاذع ، الذي يتخذ شكلاً لغويًّا يعاكس المقصود منه تمامًا .

ولا تتعارض هذه الدلالات للمصطلح الأجنبى (Sarcasm) مع مفهوم السخرية في الأدب العربي ؛ حيث إنها « تُعَبِّر عن فعل سبق من المسخور منه ... فقولك سخرت منه يقتضي ذلك من وقع السَّخَر من أجله . . ويجوز أن يكون أصل سخرتُ منه التسخير ، وهو تذليلك الشيء وجعلك إياه منقادًا ، كأنك إذا سخرت منه جعلته كالمنقاد لك ، ودخلت مِنْ للتبعيض ؛ لأنك لم تُسَخِّرْهُ كما تُسَخَّر الدابة وغيرها ، وإنما خدعته عن بعض عقله » [102] ؛ فالساخر – في حقيقة الأمر– « يحاول إخضاع خَصْمه له ، وفى هذا ما فيه من تشفٍّ عميق ، وإراحة لنفسه المتعبة المكدرة » [103].

ومن دلالات السخرية (Sarcasm) في القرآن الكريم استجهال الفعل ، كقوله تعالى حكايةً عن نوح – عليه السلام– وقومه : {وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيه مَلأٌ منْ قَومِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} [104] .

حيث كان يبنى السفينة في الصحراء ، واستجهل قومه هذا الفعل ؛ وعَدَّهُم نوح جاهلين مصيرَهم ، غافلين عن أمرِ ربِهم .

وليس غريبًا أن يتفق المصطلحان : الأجنبي (Sarcasm) والعربي " السخرية " في الدلالة بوصف كل منهما يصدر عن رفض عملٍ أو سلوكٍ ما بطريقة مؤلمة ومُخْزِية .

سابعًا : أوجه الاختلاف :

أ. الفرق بين السَّخَر (Sarcasm) والفُكَاهة (Humour) :

الفرق بين السَّـخَر (Sarcasm) والفكاهة (Humour) ، أن الفكاهة تنشـد الإضـحاك [105] ، وإشـاعة جو من المرح لا علاقة له بالإيلام واللذع ، وإن كان المعوَّل في ذلك على السياق (Context) الذي تقال فيه .

ومن ذلك – على سبيل المثال – ما وقع لأحد الأعيان في بلاط لويس الرابع عشر ؛ إذ فوجئ برؤية زوجه بين ذراعي أحد الكهنة ؛ فسار بخُطًى ثابتة إلى النافذة ، ورفع يده مباركًا من في الخارج ؛ فصاحت به زوجه : ماذا تفعل ؟ فأجابها برباطة جأش : رأيت المحترم يمارس عملي ؛ فمارست بدوري عمله ! [106] .

وتتغلب الفكاهة على السخرية إذا ما قَصَّ أحدُ الأشخاصِ على الآخر هذه النَّادرة ؛ لأنَّ كلاًّ منهما ليس طرفًا ، فلا هو الزوج ولا غيره الكاهن .

بينما السخرية تروم هدفًا آخر غير الإضحاك ، وهو الإيلام ، أو الاستعلاء ، أو الانتقام ، أو التوجيه ، أو الإصلاح ، وذلك رهن بنِيَّة الساخر وأسباب سخره ؛ فربما يسخر الأب من ابنه ليُوَجِّهه ويُصْلِحُهُ .

ورُبَّمَا يسخر الإنسان من خَصمه انتقامًا منه وإيلامًا ، أو استعلاءً عليه ، ومن ذلك سخرية المتنبي من خصومه وحسَّاده في قوله : (من الطويل)

أَفِي كُلِّ يَومٍ تَحْتَ ضِبْنِي شُوَيعِرٌ ضَعِيفٌ يُقَاوِينِي قَصِيرٌ يُطَاوِلُ[107]

ب . الفرق بين السَّخَر (Sarcasm) والهجاء (Satire) :

تختلف السخرية (Sarcasm) عن الهجاء (Satire) ؛ فالهجاء طريقة مباشرة في الهجوم على الخَصم ، والسخرية طريقة غير مباشرة في الهجوم [108] ؛ فهما يتفقان في الوظيفة ، ويختلفان في الطريقة ؛ ونستطيع أن نَصِفَ الهِجَاء بأنه أدب الغضب المباشر ، أما السخرية فهي أدب الضحك المراوغ [109] .

وإن كان كل منهما ربما يروم هدفًا واحدًا ؛ ولهذا يشبهها نعمان محمد أمين طه بأنها أشبه بلين الأفاعي ، والساخر « أفعى ليس له صوت حين يسير أو حين يسخر ولكنه يقتل بسخريته » [110] .

ولأنَّ السخرية انفعال فإنه يبقى فيها مُسْكَةٌ من حياةٍ يصعب على الباحث فى كنهها النفاذ إليها ، وإن اســتطاع الإحاطة بعموم هذا الانفعال ؛ إذ ربما يجد بيان هذا الإحســاس في قلبه ، ولكن لا ينطبق به لسانه أو يخطه قلمه .

ج . الفوارق بين المصــطلحات الثلاثـة : المفـارقـة (Irony) ، والهجـاء (Satire) ، والسخرية (Sarcasm) :

ينبغى ألا نتوهم اختلاط المصــطلحات الثلاثة ، فثمَّة خصــوصــية تحدُّ كلاًّ منها ، فالسخرية تروم هدفًا عن طريق« مقابلة الواقع باعتبار ما فيه من النقص بصورة الكمال بوصفها أسمى الحالات التي ينبغي أن يكون عليها الواقع » [111] ؛ فهي تُنَبِّه على وجود العجز والتقصير ، وتنتقم منه لصالح القدرة والكمال بصورة تمنح الحماقات والمتناقضات ابتسامة راضية لا عبرة متحدرة ، وتلك هي لمحة الفكاهة التي تُغَلِّف السخر (Sarcasm) ، وتُعَبِّر عن « ضحك الفنان أو الناقد الذي يصوِّر لنا دواعي الضحك ويبدع في تصويرها وتمثيلها » [112].

أما الهِجَاء (Satire) فإنه لا ينشد عادةً تلك الغاية ؛ لأنه نتاج انفعالات عنيفة لا تعرف الرضا ولا ما يشبه الرضا ، منها : الغضب ، والكراهية ، والرغبة في الانتقام ؛ فالشاعر عندما يستوحي إرادته نراه عنيفًا هاجيًا ، وعندما يستملى عقله فهو ساخر يُرَكِّب ما بدا له بالدُّعَابة [113].

ومن ثمَّ كانت ملكة الســخرية – كما يراها هربت ســبنســر (Herbert Spencer) – عبقرية « لا تَقِلُّ في اقتدارها على تجميل الحياة وتثقيف النفوس والأذواق عن عبقرية الفلســفة وعبقرية الشــعر والتلحين » [114] ؛ ذلك لأنها « تســتفز كُلَّ صــورِ الجمودِ والغفلةِ والنقصِ والاستبداد ... وتُرْغِم الاعوجاج على الظهور كما هو بصراحة وخشونة لكى ينفجر ، إنها تُرْغِمُهُ على الاعتراف بنفسه على نفسه ؛ لأنها تعلم أن في ذلك خسارته » [115].

ونستخلص مما سبق أن أنسب المصطلحات بوصفه مرادفًا لمصطلح السخرية هو مصطلح (Sarcasm) ؛ لأنهما يعبران عن مضمون واحد .

المبحث الثاني : السخرية وعلم البديع :

ترتبط السخرية فنيًّا بعدة مصطلحات بديعية بصورة مباشرة ، منها : التورية ، والمبالغة ، والقول بالموجب ، والتوجيه والإيهام ، ونفي الشــيء بإيجابه ، والهزل الذي يراد به الجد ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتأكيد الذم بما يشبه المدح ، والتهكُّم .

حيث يَتَخَفَّى المتكلم تحت مظهرٍ مُخَادِع ، بُغْية المواربة أو المناورة اللفظية ؛ بهدف المُرَاوَغة في الحديث ، والإخفاء المُتَعَمَّد للمعنى المقصود ، المُسْتَفاد من السياق والقرائن ، وإظهار معنى مضاد – غالبًا – لِمَا يُرِيد .

أولا : التَّورية :

هي أن يذكر المتكلم لفظًا مفردًا له معنيان : معنى قريب وهو الذي يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ، ومعنى بعيد ، وهو ما سعى الشاعر إلى إيصاله في توريته [116] ، أو هي أن « تكون الكلمة تحتمل معنيين ، فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ، ويُهْمِل الآخر ، ومراده ما أهمله لا ما استعمله » [117].

والتَّورية لها أربعة أضرب هي : التَّورية المجردة ، والتَّورية المرشحة ، والتَّورية المبينة ، والتَّورية المهيأة .

ويمثل ابن أبى الإصبع لِبَاب التورية بمثال جديد لا نجده فى كتب سابقيه[118] ، وهو قول عمر بن أبى ربيعة :(من الخفيف)

أيُّهَا المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيلاً عَمْرَكَ اللهَ !! كَيفَ يَلْتَقِيانِ ؟

هِيَ شَامِيَّةٌ إذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيلٌ إذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي [119]

ويحلله تحليلاً فنيًّا فيقول : « ذكر عُمَر الثريَّا وسهيلاً ليوهمَ السامع أنه يريد النجمين المشهورين ؛ لأن الثريَّا من منازل القمر الشامية ، وسهيلاً من النجوم اليمانية ، وهو يريد صاحبته الثريا ، وكان أبوها قد زَوَّجَهَا برجل من أهل اليمن يسمى سهيلاً ، فتمكن لعمر أن وَرَّى بالنجمين عن الشخصين ؛ ليبلغ من الإنكار عَلَى من جمع بينهما ما أراد » .

وتعجب ابن أبى الإصبع مِمَّا أحدثته هذه التورية من إنكار الشاعر للجمع بينهما ، ومن اتفاق وترشيح للتورية ، وتعليل وتنكيت ، يقول : «هذه أَحسن تورِية وقعت فى شعر لمتقدم مُرَشَّحة ؛ فإنَّ قوله (المُنْكِح) ترشيح للتورية ، على قلتها فى أشعار المتقدمين ، وكثرتها فى أشعار المحدثين ، وخصوصًا شعراء العجم العصريين كالأَرَّجاني وأمثاله ، وأما البيت الثانى فإنه أبدع من البيت الأول ؛ إذ أخرجه مخرج التعليل ؛ للإنكار الذى وقع فى عجز البيت الأول ، وجاء فيه مع التعليل تنكيت حسن مُدْمَج فى تجنيس الازدواج ؛ فإن قوله (إذا ما استقلت) و(إذا استقل) تجنيس ازدواج ، والنُّكْتَة فى ترجيح (استقلت) على أخواتها فيما يقوم مقامها إشارته بها

إلى أن الزوج يبعد بالزوجة عن أهلها ووطنها ؛ فيكون ذلك أشـــد تأنيبًا له على تزويجه ، وأدعى لندامته على ذلك ، وكان من الاتفاق الحســـن أن الرجل يمانى القبيلة والبلد ، والمرأة شـــامية ؛ فحصل الاتفاق مدمجًا فى الاستخدام ؛ فإنه استعمل فى هذا البيت احتمالي كل لفظة من قوله : شـــامية ويمان ، وختم البيت بالتوشـــيح ، وهو دلالة معنى صـــدر البيت على قافيته ؛ فجاء فى البيت سبعة أضرب من البديع ، وهي : التعليل ، والاتفاق ، والاستخدام ، وتجنيس الازدواج في (استقلت) و(استقل) ، والإدماج ، والتنكيت ، والتوشيح » [120].

إن ما قيل في التورية يوغل في السخرية بمعناها السابق ، ومن ثَمَّ فالتورية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالسخرية .

ثانيًا : المبالغة :

تَنَبَّهَ الأصـمعيُّ إلى هذا اللون البديعي (المبالغة) ، فقد قِيلَ له : « من أشـعر النَّاس ؟ قال : الذي يجعل الخسيس بلفظه كبيرًا ، أو يأتي إلى المعنى الكبير فيجعله خسيسًا» [121] ، وتحدث عنها ابن المعتز تحت مُسَمَّى « الإفراط فى الصِّفة » [122].

وســـماها قدامة بن جعفر (المبالغة) لأنَّها أخف وأعرف ، وهى من نعوت المعاني عنده [123].

وعَرَّفَهَا أبو هلال العســكري بقوله : « المبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصـــى غاياته ، وأبعد نهاياته ، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه » [124] .

وتناولها ابن ســـنان الخفاجى تحت اســـم (المبالغة في المعنى والغلو) ، وجعلهما – أي المبالغة والغلو – مترادفين على معنى واحد .

أمَّا ابن أبي الإصـــبع فقد تناولها تحت اســـم (باب الإفراط في الصِّـــفة) ، يقول : « قد أُخْتُلِفَ في المبالغة ، فقوم يرون أن أجود الشِّعر أكذبه ، وخير الكلام ما بُولِغَ فيه ... وقوم يرون المبالغة من عيوب الكلام ، ولا يرون من محاســـنه إلا ما خرج مخرج الصـــدق ... ويزعمون أن المبالغة من ضـــعف المُتَكَلِّم وعجزه عن أن يخترع معنى مبتكرًا ... وعندي أن المذهبين مردودان ..... فعائب الكلام الحســـن بترك المبالغة فقط مخطئ ، وعائب المبالغة على الإطلاق غير مصيب ، وخير الأمور أوساطها » [125].

والمبالغة وسـيلة من وسـائل السـخرية ؛ لأنها قائمة على التضـخيم والتكبير ، فإذا أراد الشـــاعرُ هجاءً فما عليه إلا أن يلتقط عيبًا خِلْقِيًّا أو خُلُقِيًّا ويبالغ فيه ؛ فيجعل المهجو صـــورة

مضحكة ؛ فالمبالغة تقوم على تصوير العيوب وتضخيمها من باب الهجاء الساخر ، المبني على تشويه الخِلْقة ، أو السخرية من صفة .

ولا يعني هذا أن كل مبالغة ســخرية ؛ لأن المبالغة تنشــأ عن الاندفاع العاطفي ، الذي يرتبط بأي موقف يستدعي استثارة الإنسان .

ثالثًا : القول بالموجَب :

هو: « تصديق كلام الغير ، وحَمْله على وجه آخر » [126] ، وهو بكسر الجِيم ، إن أريد به الصِّفة الموجِبة للحكم ، وبفتحها إنْ أُرِيدَ به الحُكْم الذي أوجَبته .

ويُعَرِّفُهُ ابن أبي الإصـــبع بقوله : « أن يخاطب المُتَكَلِّم مخاطبًا بكلام فيعمد المخاطَب إلى كل كلمة مفردة من كلام المُتَكَلِّم فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلِّم ، وذلك عين القول بالموجب ؛ لأنَّ حقيقته رد الخصم كلام خَصمه من نحو لفظه » [127].

وهو ضربان : أحدهما : « أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حُكْم ؛ فَتُثبت في كلامك تلك الصِّفة لغير ذلك الشَّيء ، من غير تعرض لثبوت ذلك الحُكْم لـه أو انتفائه عنـه ، كقولـه تعـالى : {يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَـا إِلَى المَـدِينَـةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْهَـا الأذَلَّ وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [سورة المنافقون : الآية 8] ، فإنَّهم كنوا بالأعز عن فريقهم ، وبالأذل عن فريق المؤمنين ، وأثبتوا للأعز الإخراج ؛ فأثبت الله تعالى في الرد عليهم صـفة العزة لله ولرسـوله وللمؤمنين ، من غير تعرض لثبوت حُكْم الإخراج للموصـــوفين بصـــفة العزة ولا لنفيه عنهم » [128].

والثَّاني : « حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه ... ومنه قول على بن فضالة القيرواني :

وَإِخْوَانٌ حَسِبْتُهُمُ دُرُوعًا فَكَانُوهَا ، وَلَكِنْ لِلأَعَادِي

وَخِلْتُهُمُ سِهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَانُوهَا ، وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي

وَقَالُوا: قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَقُوا ، وَلَكِنْ مِنْ وِدَادِي

والمراد البيتان الأولان ، ولك أن تجعل نحوهما ضـــربًا ثالثًا » [129] ، وهذا ضـــربٌ من السخرية .

رابعًا : التوجيه والإيهام :

هو : « إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين » [130] ، أي متضـــادين ، كالمدح والهجاء ، فلا يكون منه ما يحتمل غير ذلك ، كاحتمال العين للجارحة والجاســوس ؛ لجواز اجتماعهما ، كقولك: (رأيت عينًا) ، ولا بُدَّ فيه أيضًا من احتمال المعنيين على السَّواء ؛ لأنَّه إذا كان أحدهما متبادرًا يكون تورية لا توجيهًا .

أو هو «أن يقول المتكلِّم كلامًا يحتمل معنيين متضادين ، لا يميز أحدهما على الآخر ، ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التَّميز فيما بعد ذلك ، بل يقصد إبهام الأمر فيهما قصدًا»[131] ، وقد سماه ابن الأثير (ت637هـ) (الكلام المُوَجَّه) ، وجعله دليلاً على براعة الشاعر وحسن تأتيه [132].

ومنه قول بشار لأعور يُسَمَّى عُمرًا ، وقد دفع له ثوبًا ليخيطه له :(من مجزوء الرمل)

خَـاطَ لِي عَمْرٌو قِبَـاءْ لَـيتَ عَينَـيهِ سَوَاءْ

قَلْتُ شِعْرًا لَيسَ يُدْرَى أَمَدِيحٌ أَمْ هِجَاءْ [133]

فهذا الرجل قال لبشار حينما أعطاه الثوب ليخيطه له ؛ لأخيطنه بحيث لا يعلم أقباء هو أم دواج ؟ فقال الشَّـــاعر: لئن فعلت ذلك لأقولن فيك شـــعرًا لا يُدْرَى أهجاء أم غيره ؟ ولهذا قال هذا البيت ؛ فســـأله النَّاس جميعًا أمديح أم هجاء ؟ فالبيت يحتمل أن يكون مديحًا ، وذلك بالدُّعاء له بصـحة العوراء ، أو يكون هجاءً ، وذلك بتعوير الصـحيحة ، فما علم أحد هل أراد أن الصـحيحة تساوي السقيمة أو العكس .

خامسًا : نفي الشَّيء بإيجابه :

يقول ابن رشـــيق عنه : « وهذا الباب من المبالغة ، وليس بها مختصًّـــا ، إلا أنَّه من محاسن الكلام ؛ فإذا تأملته وجدت باطنه نفيًا ، وظاهره إيجابًا ، كقول امرئ القيس:

عَلَى لاحِبٍ لا يَهْتَدِي بِمَنَـارِهِ إِذَا سَافَهُ العَودُ النُّبَاطِيُّ جَرْجَرَا

فقولـــــه : (لا يهتدي بمناره) لم يُرِدْ أن له منارًا لا يهتدي به ، ولكن أراد أنَّه لا منار له فيهتدي بذلك المنار » [134] .

وعَرَّفَهُ ابن أبي الإصـبع قائلاً : « هو أن يثبت المتكلم شـيئًا في ظاهر كلامه وينفي ما هو من سببه مجازًا ، والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبته » [135].

كقوله تعالي : ﴿لاَ يَسْــأَلُونَ النَّاس إِلْحَافًا﴾[136] ؛ فظاهره نفي الإلحاف في المســألة لا نفي المسألة ، والباطن نفي المسألة تمامًا بكُلِّ صورها .

ومنه قول الزبير بن عبد المطلب يمدح عميلة بن عبد الدار:

صِيحَتْ بِهِمْ طَلْقًا يَرَاحُ إِلَى النَّدَى إِذَا مَا انْتَشَى لَمْ تَحْتَضِرْهُ مَفَاقِرُهُ

ضَعِيفٌ يُحَثُّ الكَأْسُ قَبْضُ نَبَاتِهِ كَلِيلاً عَلَى وَجْهِ النَّدِيمِ أَظَافِرُهُ [137]

فظاهر البيتين :« يفيد أن للممدوح مفاقر لم تحضــره إذا انتشــى ، وأن له أظافر تخمش وجه نديمه خمشًا خفيفًا ، وباطن الكلام في الحقيقة (نفي المفاقر جملة والأظافر بتّة) » [138].

ومنه « قســـم يوجب فيه المتكلم لنفســـه شـــيئًا وينفيه بعينه عن غيره ، أو ينفي عن موصوف ما صفة يوجبها لموصوف آخر »[139].

سادسًا : الهَزْل الذي يُرَادُ به الجِدّ :

هذا اللون من ابتكار الجاحظ (ت255هـ) ، وهو طريق من طرق التَّعبير أدركه الجاحظ بفطرته الســـاخرة ، وذلك في قوله : « قال إبراهيم بن هانئ ، وكان ماجنًا خليعًا ، وكثير العبث متمردًا ، ولولا أن كلامه هذا الذي أراد به الهزل يدخل في باب الجِدّ ، لما جعلته صـــلة الكلام الماضي »[140] ، وغيرُ خافٍ أن هذا الضرب من الكلام مرتبط بأصحاب النوادر والمجون .

ومن أوائل من تكلم في هذا الفن ابن المعتز في كتابه (البديع) ؛ حيث عَدَّهُ من محاســن الكلام ، وذكر له شواهد ، كقول أبي العتاهية :

أَرْقِيكَ أَرْقِيكَ بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَا مِنْ بُخْلِ نَفْسٍ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيكَا

مَا سِلْمُ نَفْسِكَ إِلاَّ مَنْ يُتَارِكُهَا وَمَا عَدُوُّكَ إِلاَّ مَنْ يُرَجِّيكَا [141]

إنها رُقْيَا ، ولكنها ساخرة ، يرقيه مِنْ ماذا ؟ مِنْ ذلك الداء العُضَـال الذي استفحل ! من بُخْل نفسه ، لَعَلَّ هذه الرُّقْيَا أن تنفعه ؛ فيشفيه الله من هذا البلاء ! لم يقل له أنت بخيل لا تحب العطاء ، بل تُعَادِي من يَسْـأَلك وإن كان أقرب الناس إليك ، وتُسَـالِم مَنْ يُعْطِيك ولو كان أبعدهم منك ، لم يقل له كل ذلك جادًا جازمًا ، بل أخرج كلامه في صـورة الناصـح المتماجن الذي يبذل مساعيه ليخلص صاحبه من ذلك الداء ؛ فيرقيه من بخل نفسه ، وما قصد أن يرقيه أو ينصحه ، بل قصــد أن يقول له البخل فيك جِبِلَّة ؛ فأخرج كلامه مخرج الهزل ، وهو جادٌّ في الســخرية من هذا الطبع المُشِين .

ولم يتعرض ابن المعتز لتعريف هذا الفن ، الذي عَرَّفَهُ ابن أبي الإصـــبع بقوله : «هو أن يقصــد المتكلم مدح إنســان أو ذمه ؛ فيخرج ذلك المقصــود مخرج الهَزْل المُعْجِب ، والمُجُون المُطْرِب »[142].

أما العلوي فقد ألحقه بتجاهل العارف ، فبعد أن تكلم عن تجاهل العارف قال : « ومِمَّا يلحق بأذيال هذا الصـــنف ، ويجيء على أثره ، الهَزْل الذي يُرَادُ به الجِدّ»[143] ، وهو يرى أن بينهما تماثلاً ، وإن كان بينهما تفرقةٌ ظاهرة .

ويُمَثِّلُ له بقول أبي نواس من قصيدة يهجو بها تميمًا وأسدًا ، ويفتخر بقحطان :

إِذَا مَا تَمِيمِيٌّ أَتَاكَ مُفَاخِرًا فَقُل : عَدِّ عَنْ ذَا ، كَيفَ أَكْلُكَ لِلضَّبِّ [144]

« فالاســـتفهامُ جامعٌ لهما جميعًا ، لكنه أورده على جهة التهكُّم به والهُزْء والسُّـــخْرية ، والغرضُ به الجِدُّ ، والمعنى في هذا عَدِّ عن المفاخرة التي أنت تطلبُهَا فإنها مرتبةٌ عاليةٌ سَـــنِيَّةٌ ، ولكن حَدِّثْنِي عن أكلِك للضب كما هي عادتك »[145] .

فهو يســخر من هذا البدوي الذي جاءه مفاخرًا ، ولكنه لا يَرُدُّ عليه فخره ، بل يُذَكِّرُهُ بأمرٍ اعتاد عليه هو وقومه ، وهو أكل الضبّ الذي تعافه أشراف العرب ؛ فيخرج كلامه مخرج الهَزْل ، وكأنه يقول لهذا الذي جاء مفتخرًا : دعنا من افتخارك هذا ، ولكن قُلْ لنا كيف تصـنع حين تأكل الضب ! وكيف لك أن تفاخر وهمتك تنتهي عند أكل الضب ! فلا يجاريه في مفاخرته ، بل يأتيه من حيث لا يتوقع ؛ فيسـأله أمام الملأ عن هذا الفعل الغريب ، وهذا الأسـلوب أوجع في الهجو ، وأبلغ في السـخرية ؛ حيث يتكلم الرجل جادًّا ومفاخرًا ؛ فيعترض عليه غيره بأسـلوب هزلي يطفئ به ذلك التوتر والحماس .

سابعًا : تأكيد المدح بما يُشْبِه الذمّ :

يوهم ظاهر الكلام المبالغة في المدح ، ولكنه – في باطنه – يقصـــد أقصـــى الهجاء ، مثل قول قُرَيط بن أُنيف :

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانَا

كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشْيَتِهِ سِوَاهُمُ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانَا [146]

فظاهر هذا الكلام المدح بالحِلْم ، والعِفْة ، والخشية ، والتقوى ، وباطنه المقصود أنهم في غاية الذل وعدم المنعة ، وجاء الكلام على طريقة التوجيه ، يُوهِمُ أنه مدح ، وهو هجاء .

وهذا دعبل الخزاعي ، استضافه قوم فلم يطعموه حتى غلبه النوم ؛ فهجاهم بأسلوب ظاهره مدح وثناء ، وحقيقته هجو وسخرية ، يقول :

هَنَاكُمْ أَنَّكُمْ قَومٌ كِرَامٌ وَأَنَّ النَّومَ بَينَكُمُ طَعَامُ

أَتَاكُمْ زَائِرٌ فَأَجَعْتُمُوهُ فَلَمَّا نَامَ أَشْبَعَهُ المَنَامُ [147]

ومن يسمع هذا الشعر يظن أن دعبلاً يمدح هؤلاء القوم ، فإذا ما دَقَّقَ النظر تبيَّنَ أنه تهكُّم وسخرية بهؤلاء اللئام الذين أجاعوا ضيفهم من القرى ، وأشبعوه نومًا .

وتأكيد المدح بما يُشْبِهُ الذم له ثلاثةُ أساليب :

الأولُ : أنْ يُسْتَثْنَى من صفةِ ذمٍّ منفيةٍ عن الشيءِ صفةَ مدحٍ بتقدير دخولها فيهِ ، نحو قول النابغة الذبياني :

ولا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِن قِرَاعِ الكَتَائِبِ [148]

وإنما كان هذا الاستثناءُ من المبالغةِ في المدحِ ؛ لأنه قد دلَّ به على أنه لو كان فيهم عيبٌ غيره لذكرَه ، وأنه لم يقصدْ إلا وصفهُم بما فيهم على الحقيقةِ .

والثاني : أنْ يثبتَ للشيءِ صفةَ مدحٍ ، ويأتيَ بعدها بأداةِ استثناءٍ تليها صفةُ مدحٍ أخرى ، والنوع الأول أبلغ ، كقوله : يحكي عن رجل من أهل الكتاب : " إِنَّ رَجُلاً كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَتَاهُ الْمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ فَقِيلَ لَهُ هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ قَالَ مَا أَعْلَمُ ، قِيلَ لَهُ انْظُرْ . قَالَ مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّى كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَأُجَازِيهِمْ ، فَأُنْظِرُ الْمُوسِرَ ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ . فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ " .

وأصل الاستثناء في هذا الضرب أيضًا أن يكون منقطعًا ، لكنه باقٍ على حاله لم يُقَدَّر متصلاً ؛ فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين ، ومنه قوله تعالى: {لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا ، إلا قِيلا سَلامًا سَلامًا} [149] فهو يحتمل الوجهينِ ، أمَّا قوله تعالى : {لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إلا سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [150] ؛ فيحتملهما ، ويحتملُ وجهًا ثالثًا ، وهو أن يكونَ الاستثناءُ من أصله متصلاً ؛ لأنَّ معنى السلامِ هو الدعاءُ بالسلامةِ ، وأهلُ الجنةِ عن الدعاءِ بالسلامة أغنياءُ ؛ فكان ظاهرهُ من قبيل اللغوِ وفضولِ الكلامِ ، لولا ما فيه من فائدة الإكرامِ .

والثالث : أنْ يأتيَ الاستثناءُ فيه مفرَّغًا ، كقوله تعالى : {وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا} [151] ، أي : وما تعيبُ منا إلا أصلَ المناقبِ والمفاخرِ كلها ، وهو الإيمانُ بآياتِ الله ، ومنه قوله تعالى :{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا} [152] ، فإنَّ الاستفهامَ فيه للإنكارِ .

ثامنا : تأكيدُ الذمِّ بما يشبهُ المدحَ :

له ضربان :

الأول : أن يُستثنَى من صفةِ مدحٍ منفيةٍ عن الشيء ، صفةَ ذمٍّ بتقدير دخولها فيها ، كقول الشاعر:

خَلا مِنَ الفَضْلِ غَيرَ أَنِّي أَرَاهُ فِي الحُمْقِ لا يُجَارَى

في هذا البيت ذم أشبه بالمدح ، بُدِئَ بنفي لصفة المدح ، ثم استثنى منها صفة ذم ؛ فكان ذمًّا على ذم ، فقد نَفَى الفَضْلَ عن المهجو ، ثُمَّ استثنى من نفي الفضل هذا صفة كان من المتوقع أن تكون صفة مدح ، لكنها ليست سوى ذم ؛ فجاء ذمًّا على ذم .

ونحو : لا فضلَ للقوم إلا أنهم لا يعرفونَ للجار حقَّهُ ، ونحو : الجاهلُ عدوُّ نفسهِ إلا أنه صديقُ السفهاءِ ، ونحو : فلانٌ ليسَ أهلاً للمعروفِ ، إلا أنه يُسيءُ إلى منْ يحسنُ إليهِ .

والثاني : أن يثبتَ للشيء صفةَ ذمٍّ ، ثم يؤتَى بعدها بأداةِ استثناءٍ ، تليها صفةُ ذمٍّ أخرى له ، نحو : فلانٌ حسودٌ إلا أنه نمّام ، ومنه قول الشاعر يهجو شخصًا ، ويرميه باللؤم وعدم الوفاء :

هُوَ الكَلْبُ ، إلاَّ أَنَّ فِيهِ مَلالَةً وَسُوءَ مُرَاعَاةٍ ، وَمَا ذَاكَ فِي الكَلْبِ [153]

لقد بالغ الشاعر في ذم خصمه فشَبَّهَهُ بالكلب ، ولم يكتفِ بهذا ، بل أوهم السامع بهذا الاستثناء الذي جاء به وكأنه سيذكر صفة محمودة في هذا الخصم ، فإذا به يرميه بالملالة وسوء المُرَاعَاة ، ولم يزل به حتى جعل الكلب أفضل منه ؛ لأن الكلب يُضْرَب به المثل في الوفاء ، أما هذا الرجل فعلى أنه يُشْبِهَ الكلب في بعض الصفات الخسيسة إلا أنه ليس فيه وفاء الكلب .

وقول الشاعر :

لَئِيمُ الطِّبَاعِ سِوَى أَنَّهُ جَبَانٌ يَهُونُ عَلَيهِ الهَوَانُ

بَدَأَ بصفة ذم مثبتة ؛ فاستثنى منها ؛ فأوهم السامع أنه يستثني صفة مدح ، فإذا بها صفة ذم ؛ فهذا اللئيم ليس سوى جبان يهون عليه الهوان ، وهذا الإيهام وتلقي السامع بما لم يتوقع يجعل لهذا الأسلوب أثر قوي ، ويمنحه جدة وطرافة .

وما أحسنَ قولَ بعضهم ينعت قومًا بالبخل الشديد :

بِيضُ المَطَابِخِ لا تَشْكُو وَلائِدُهُمْ طَبْخَ القُدُورِ ، وَلا غَسْلَ المَنَادِيلِ

لا تَأْكُلُ النَّارُ فِي مَغْنَى بُيُوتِهُمُ إلاَّ فَتَائِلَ سُرُجٍ ، أَو قَنَادِيلِ[154]

في البيت الأول كناية عن اللؤم والبخل ؛ فمطابخ هؤلاء القوم بيض ، كناية عن أنها لا تُسْتَخْدَم في قِرَى الأضياف وإكرامهم ، ونساؤهم في راحة وكسل ؛ فهن لا يشكين طبخًا ولا غسلاً ؛ لأن النار لا توقد في هذه البيوت إلا لشيء واحد وهو إيقاد السرج والقناديل ، وهذا الاستثناء بعد ذلك يوهم أن الشاعر سيستثني صفة مدح من ذلك الذم ؛ فإذا به يتمادى في ذمه ؛ فيسخر من تلك النار الموقدة ليست لقرى الأضياف ، ولكن لقرى السرج والقناديل .

تاسعًا : التهكُّم :

نقل ابن حجة الحموي عن ابن أبى الإصبع تعريفه اللغوي لهذا الفن : « والتهكُّم في الأصل التهدُّم ، يقال : تهكَّمَت البئرُ إذا تهدَّمت ، وتهكَّمَ عليه : إذا اشتدَّ غَضَبُه ، والمتهكِّمُ المحتقِر ، قال أبو زيد : تَهَكَّمْتُ غَضِبْتُ ، وتَهَكَّمْتُ تَحَقَّرْتُ ، وعلى هذا يكون المتهكِّم لشدَّة الغضب قد أوعد بالبشارة ، أو لشدَّة الكبر ، أو لتهاونه بالمخاطب قد فعل ذلك فهذا أصله في الاستعمال » [155] ، وتعريفه الاصطلاحي : « الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار ، والوعد في مكان الوعيد ، والمدح في معرض الاستهزاء » [156].

كما نقل عنه بعض شواهده ، وعَدَّ هذا الفن من مخترعات ابن أبى الإصبع[157] ، وأشاد بدراسته لهذا الفن ، يقول: « ولكنَّ ابن أبى الإصبع أزال بكارة إشكاله ، وكان أبا عذرته ، وأرضع الأذواق لبان فهمه ، وكان فارس حَلْبَتِهِ »[158] ، ونقل عنه تفرقته بين التهكُّم ، والهَزْل الذي يُزَادُ به الجِدّ قائلاً : إن « التهكُّم ظاهره جد وباطنه هزل ، وهو ضد الأول ؛ لأنَّ الهَزْلَ الذي يراد به الجد يكون ظاهره هزلاً وباطنه جدًّا » [159].

والتهكُّم وسيلة لتهذيب الفرد والمجتمع ، والسعي بهما إلى مستوى أكثر تقدمًا ، وأرقى حضارة ؛ لأن الأديب حين يتهكم ؛ فإنه يربط ما بين الأشياء والأمور الواقعة ، وما يجب أن

تكون عليه مِنْ مُثل الكمال ، أي أنه يقابل الواقع على ما فيه من تخلُّف أو فســـادٍ أو نقص بالكمال الذي يراه الهدف والغاية [160].

هذا ، ومن الأمور الملحوظة في أسلوب التهكُّم « أنه لا يمكن إعطاء أمثلة حقيقية لمثل هذا النوع بجملةٍ مبتورة ؛ نظرًا لأن الكلمة أو الجملة تفقد حيويتها إذا أُنْتُزِعَتْ من الكل الحي النابض بالحياة ، كالعضو الذي يموت إذا اقتُطع من الجسم كلِّه » [161] .

وكل هذه المصـــطلحات البديعية التى تعتمد على إظهار التناقض ، والفوارق الســـاخرة ، تُعَدُّ روافد رئيسة للسخرية بمعناها المصطلحي .

المبحث الثالث : تجليات السخرية في الأدب :

الســخرية ملكة فطرية في أمم الأرض جميعًا ، فلا يمكن أن نقول بنفيها عن أمة من الأمم ؛ لأنَّها مركوزة في الطباع البشـــرية ، وإن كان من الممكن القول بغلبتها في أمة دون أمة ، نظرًا لارتباطها بالثقافة ، والعادات ، والحضـــــارة ، وطبيعة البيئة ، والجو ، وظروف العُمْران ، والاجتماع البشرى ؛ لذا من الخطأ أن ننفي وجود الفكاهة والسَّخَر في الأدب العربي .

أولاً : السخرية في العصر الجاهلي :

لا أستطيع أن أضع يدي على معنى واضح لمصطلح السخرية (sarcasm) في الشعر الجاهلي ؛ ذلك لأن فن الســـخر وُلِدَ عند الجاهليين في شـــكل المنافرات التي كان يحتكم فيها المتنازعان من رجالات العرب إلى رجل عالم فاضـــل شـــريف ، فيدَّعي كل منهما أنه أعزّ من صاحبه ، فمَنْ فضل صاحبَه منهما قدَّم نفره على نفر الآخر ، وقيل إنها سميت منافرة ؛ لأنهم كانوا يقولون عن المنافرة أنا أعز نفرًا [162].

ولَعَّلَ ما ورد بين صـــاحب الجنة في محاورته لصـــاحبه في ســورة الكهف كان من هذا القبيل ، قال تعالى : { وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـــاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا} [163] .

وإن كان كُلُّ واحدٍ من المتنافرين يُقَدِّمُ مَفَاخِرَهُ بين يدي الحَكَم ، فلا جَرَمَ أن يعدو على صاحبه ، أو قُلْ إن شئت : على خَصْمَه ، فيذكر بعد الفخر عليه ، مثالبه وعيوبه ، ويذهب في الســخرية به وبقومه كُلَّ مَذْهَبٍ ، كل ذلك في لغة فنية تحتوي على كثير من السُّـبَاب والفُحْش ، الذي يستجيب فيه العربي البدوي لطبيعته النافرة ، وغضبته السريعة ، ونفرته الشديدة .

وُلِدَتْ السـخرية والهجاء – إذن – في أدب المنافرات ، الذي اختلطت فيه السـخرية بالهجاء ، وإنْ كانت النزعة الهجائية فيه أقوى وأشدّ ؛ لتناسبها مع طبيعة الشخصية العربية آنذاك .

ويمكن لقارئ الشـعر الجاهلي أن يلتمس بعضَ آثار هذه المنافرات في هجاء الحطيئة ، هذا الشاعر المخضرم الذي أطلق العنان للسانه ؛ « فخاض به فيما لم يخض فيه السِّنَان ، فهو يعتمد في هَجْوه على التفضيل والمقارنة ؛ يدخل بين الرجلين فيـمتدح أحدهما ويعرِّض بالآخر » (164) .

وقد ربط العرب في جاهليتهم بين السِّـحر والهِجَاء ؛ حيث كانوا يعتقدون أن الهجَّاء لديه قوة خاصـة تتجلى في كلماته التي تسـكنها قوة خفية ، تصـيب المهجو باللعنة ؛ فتتركه ذليلاً بهجائه ، وتلحق به الخزي والعار ، مثلما يُلْحِق السِّحْر الضرر بالمسحور ، ولعَلَّ هذا الربط بين الهِجَاء والسحر هو ما جعل العرب يعتقدون أن للشاعر شيطان يجود عليه بالأشعار ، كما أن للساحر عشيرًا من الجن يسارعون في خدمته عندما يستنجد بهم .

وقد ارتبطت نشأة الهِجَاء والسَّخَر بنقد الخارجين على أعراف وقوانين الأمم القبلية ، وبنقد الخصوم ، وفضح معايبهم ، والضحك منها بصورة بدائية ساذجة ، تتناسب مع وحشية الأمم البدوية التى لم تعرف الحضـارة بعد ، ثم أخذ هذا النقد يتدرج في مدارج الحياة فيرتقي أحيانًا ، ويسـف أحيانًا أخرى ، فعرف العرب في جاهليتهم الهجاء الفاحش المُوجِع الذي يهتك السـتر ، ويقع على العورات ، فكرهوه ؛ لأنه محض أذًى يحمل في طياته البذاءة والإيذاء ، وقبلوا منه ما يتعرض للأخلاق والسلوك ، فكان أشد الهجاء عندهم أعفه وأصدقه ، وذلك بأن تهجو خصمك بما فيه من البخل أو الجبن أو الضعف أو السفه ، بل كان أبلغ الهجو عندهم وأفضله ما اعتمد فيه الشاعر على الكناية والتعريض للغض من قِيَم المهجو الأخلاقية ، وتركه خاليًا من المروءة ؛ الجامعة لكل خصال الفضيلة عندهم ؛ ولذلك كانت تتضع القبيلة بأكملها إذا هُجِيَتْ بما فيها ، ولا تعود لمكانتها إلاَّ إذ نهض منها شاعر يذود عنها (165) ؛ ولذلك كانت محاكاة الشخص بأقبح ما عنده هجوًا ، ومحاكاته بأحسن ما فيه مدحًا .

وإذا قال قائل إن العرب لم تعرف فن السَّـخَر (sarcasm) في جاهليتها ، وإنما عرفت الهجاء وحده ، كان مُجَانِبًا للصواب ؛ لأن القرآن الكريم دارت فيه ألفاظ السَّخَر كثيرًا ، مثل قوله تعالى : { بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ، وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ ، وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ } (166) ،

{ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّـدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْـخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [167] ،{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ } [168].

وإذا كانت العرب لم تعرف معنى السـخرية في جاهليتها ، فكيف يخاطبها القرآن بما لا تعرف ؟!

لا جَرَمَ – إذن – أن يكون للعرب معرفة واسعة بمعاني الكلمات ومدلولاتها في السياقات المختلفة ؛ فقد دارت في الشعر الجاهلي ألفاظ السَّخَر ، مثل قول عبيد بن الأبرص :

وسَاخِرةٍ مِنِّى وَلَو أَنَّ عَيْنَهَا رَأَتْ مَا رَأَتْ عَيْنِي مِنَ الهَولِ حَنَّتِ [169]

وقول عبد المسيح بن عسلة العبدى الجاهلى :

فَأَمَّا أَخُو قَرْطٍ – وَلَسْتُ بِسَاخِرٍ – فَقُولاَ لَهُ : يَا اسْلِمْ بِمَرَّةَ سَالِمَا [170]

ولا أبالغ فأقول إن العرب عرفت فن السخرية معرفةً تامة ، تَنُمُّ عن تمرُّسها به ؛ ذلك لأن الهِجَاء غلب عليها ؛ لأنه يتناسب مع حِدَّتها ، وما انفطرت عليه من سرعة التأثُّر والاستجابة لعواطفها ؛ فترى الشاعر الجاهلي إذا ما غضب ثار ثائره ؛ فاندفع في شعاب الهجو ينتصف لنفسه وقبيله ، ولَعَلَّ هذه الحماسة والاندفاع الشديد جعلت أبا تمام يُسَمِّى مختاراته من أشعارهم " ديوان الحماسة " ؛ محاكاةً لهذه الشخصية العربية الثائرة ، المندفعة في مدحها وهجوها وفخرها .

ويحتاج السَّـخَر إلى أناة وتحكُّم ، وفيه يُعْرَض القول على العقل ، الذي يعمل فيه بالتعديل والاختيار ؛ ليَخْرُجَ القول مؤلمًا في غير إسفاف ولا إفحاش ، مضحكًا في غير ابتذال .

وقد عرفت العرب فن السـخر (sarcasm) في جاهليتها ، ولكن غلب الهجاءُ عليها ؛ لتناسبه مع طبيعتها وطبيعة بيئتها البدوية الجافية .

ثانيًا : السخرية في عصر صدر الإسلام :

خَفَّفَ الإسلام من غُلواء هذه النفوس النافرة بعد أن أسلمت لربها ، فتحولت عصبيتها من القبيلة إلى الدين الجديد ؛ فحلَّ الفخر بالدين محلَّ الفخر بالآباء ، كما نرى في قول الشاعر :

أَبِي الإِسلاَمُ لا أَبَ لِي سُوَاهُ إِنْ هَتَفُوا بِبَكرٍ أَوْ تَمِيمِ [171]

وأخذ شعراء المسلمين يعيّرون المشركين بكفرهم ، ويسخرون من أربابهم ، وعلى الجانب الآخر نجد شعراء المشركين أيضًا يردون على السَّخَرِ بسَخَرٍ مثله ، وإنْ كانوا قد أكثروا القول وأغلظوا فيه ؛ فنراهم يسخرون من النبي (ﷺ) ومنْ أتباعه من الصحابة « كخباب ، وعَمَّار ،

وأبو فكيهه ، ويسار مولى صفوان ، وصهيب ، وأشباههم من المسلمين ، فيقول بعضهم لبعض : هؤلاء أصـــحابه كما ترون – يعني من الضـــعف والفقر – أهؤلاء مَنَّ اللهُ عليهم من بيننا بالهُدَى والحق ؟ لو كان ما جاء به محمدٌ خيرًا ما سبقنا هؤلاء إليه ، وما خصَّهم الله به دوننا » [172].

وبعد موت النبي (❐) ، حمل أبو بكر على المرتدين من قبائل العرب حملة شـــديدة ؛ فأخذوا يسخرون منه ، ويسمونه " أبا فصيل " ؛ احتقارًا له ؛ إذْ إنَّ البكر هو الجمل الكبير ، أما الفصيل فهو الجمل الصغير ؛ فردَّ عليهم حسان بن ثابت بقوله :

مَا البَكَرُ إلاَّ كَالفَصِيلِ وقَدْ تَرَى أنَّ الفَصِيلَ عَليهِ لَيْسَ بِعَار

ويقول في قبيلة جُذَام التي سارعت إلى الكفر :

لَعَمرِي أَيُّ سَمِيةٍ مَا أُبَالِي أَنَبَّ التَّيْسِ أَمْ نَطَقَتْ جُذَامُ

إِذَا مَا شَاتُهُمْ وَلَدَتْ تَنَادَوا أَجَدْيٌّ تَحْتَ شَاتِكَ أَمْ غُلاَمُ ؟ [173]

وقد خلَّفت حروبُ الرِّدَّة أدبًا تحتل فيه السخرية مكانًا بارزًا ؛ فقد كان كل فريق يسخر من الآخر ويهزأ به انتصارًا لحزبه وعصبيةً لقبيله ، ويبدو أن حروب الرِّدَّة كانت الشرارة الأولى التي أشعلت نار العصبية في النفوس ، ثم ما لبثت أن اتقدت جذوتها بعد خـــلافة عثمان بن عفان ؛ حيث الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية رضـي الله عنهما ؛ إذْ راح شـعراء كُلُّ فريق ينتصـر لحزبة على حساب الآخر معتمدًا السخرية وسيلةً قوية للتنكيل بالآخر وجعله هُزُأَة وأُضْحُوكة .

ثالثا : السخرية في العصر الأُمَوي :

انحرف بعض الشـعراء عن مذهب العرب في الهَجْو والسَّـخَرِ ؛ فاندفعوا إلى شـعاب من القول مُخْزِية ، دفعهم إليها تشجيع الأحزاب السياسية في العصر الأموي ، خاصة وُلاة الأمر من الأُمويين الذين اســتعانوا بالهجَّائين من الشـــعراء لينالوا من خصـــومهم العلويين ، وقد جَرَّ هذا التهاجي الشعراءَ أنفسهم إلى التهاجي والسخر من بعضهم بعضًا ، فراح الشعراء يتفننون في هذا الفن ؛ لِيُظْهِرَ كُلٌّ منهم مقدرته على الإجادة ؛ فظهر فن النقائض ، وقد بدأ هذا الفن معتمدًا على اللمزِ ، والتعريض بالخَصْم ، ورسم الصور الكاريكاتورية له ، وتجسيد معايبه الخِلْقِية ، ثم انزلق إلى المهاجاة المُقْذِعة بعد رواجه بين الناس ، الذين كانوا يجتمعون في الأسـواق والأندية لسـماع النقيضـة ، « فهذا شـاعر قبيلة من القبائل ينظم قصـيدة من القصـائد في الفخر بقبيلته وأمجادها ويتعرض لخصـــومها من القبائل الأخرى ، فينبري له شـــاعر من شـــعراء تلك القبيلة فيردُّ عليه

بقصـــيدة على وزن قصـــيدته ورويها ، وكأنه يريد أن يُظْهِرَ تفوقه عليه من ناحية المعاني ومن ناحية الفن نفسه ، ويجتمع الناس من حولهم يصفقون ويصيحون » [174] .

ولا جَرَمَ أن نمو العقل العربي ، والحضـارة التي عاشـها الشـعراء في هذه الحِقْبة ، وتعدُّد المذاهب السياسية قد ارتقى بفن النقائض ؛ حتَّى أصبح فنًّا قائمًا بذاته يختلط فيه الفخر بالسَّخَر والهجاء ؛ فظهرت طبقة من شـعراء الهجاء السـاخرين ، أمثال : جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، وغيرهم من شعراء العصر الأُموي ، وأخذ هؤلاء الشعراء يُفْرِدُونَ للسَّخَر والهجاء قصائد مستقلة .

وإذا كانت الخلافات الحزبية في العصر الأموي قد أمدت فن السَّخَر بروافد جديدة منحته الحيوية ، فإنَّ اختلاف الثقافات وتعدُّدها ما بين فارسـية وهندية ويونانية ، قد وَهَبَ هذا الفن حياةً جديدةً تختلف معالمها كثيرًا عن حياته في العصر الجاهلي ، فقد أسفَّت هذه الأمشاج من الموالي والعجم بهذا الفن فأخرجوه – في كثير من أطواره – عن حدِّ السـخر المؤلم إلى حدِّ الإسـفاف والابتذال ، الذي يَخْرُج عن دائرة الفن إلى دائرة السُّباب والفُحش .

رابعًا : السخرية في العصر العباسي :

لا نعدم شـعراء سـاخرين أتوا بالمُعْجِب الرصـين في هذا الفن ، أمثال : أبو الشـمقمق ، ودعبل بن علي الخزاعي ، وابن الرومي ، وأبو الطيب المتنبي ، وأبو العلاء المعري ، أولئك الذين جودَّوا في فن السَّخَر أيَّمَا تجويد ؛ فارتفعوا به من وَهْدَة الإسفاف إلى جَزَالة ورصانة الفن .

ولا يعني هذا أن الشـعراء غير العرب لم يبرعوا في فن السَّـخَر ، بل كان لهم فيه نماذج تُعْرَف في الدرجة العالية منه ؛ فهذا منصور الأصبهاني يقول ساخرًا من رجل اسمه المغيرة :

وَجهُ المُغِيْرةِ كُلُّهُ أَنْفٌ مُوْفٍ عَلَيهِ كَأَنَّهُ سَقْفُ
رَجُلٌ كَوَجِه البَغْلِ طَلْعَتُهُ مَا يَنْقَضِي مِنْ قُبْحِهِ الوَصْفُ
مِنْ حَيثُ مَا تَأْتِيهِ تُبْصِرهُ مِنْ أَجْلِ ذَاكَ أَمَامُهُ خَلْفُ
حِصْنٌ لَهُ مِنْ كُلِّ نَائِبَةٍ وَعَلَى بَنِيهِ بَعدَهُ وَقْفُ [175]

وليس من الضـروري أن تكون السـخرية مثيرة للضـحك ؛ « لأنها يمكن أن تكون مُرَّة خاصـــةً عندما تُهَاجِم الجانب المُتَجَهِّم من المجتمع ، ورُبَّمَا أثارت ابتســـامة المتلقي ، ولكنها ابتسـامة مريرة سـاخرة من الأوضـاع المقلوبة في المجتمع ... وغالبًا ما تحمل ابتسـامة السـخرية شحنات من الأسى والهَمِّ تفوق في درجتها وكثافتها الشحنات الكامنة في البكاء والعويل »[176].

وقد أثار التفاوُت بين الطبقات الاجتماعية سُخْط أبي الشمقمق ، الذي أرخى عليه الزمان سدول همه وفقره ونكده ، وناء عليه بكلكله ؛ فما كان منه إلا أن صرخ باكيًا قائلاً : (من الوافر)

بَـرَزْتُ مِـنَ الـمَـنَـازِلِ وَالـقِـبَـابِ ... فَلَمْ يَعْسُـرْ عَلَى أَحَدٍ حِجَابِي
فمَنْزِلِيَ الفَضَـاءُ وَسَـقْفُ بَيتِي ... سَـمَـاءُ اللهِ أَو قِطَعُ السَّـحَـابِ
فَـأَنْـتَ إِذَا أَرَدْتَ دَخَلْـتَ بَـيـتِـي ... عَـلَـيَّ مُسَـلِّمًـا مِنْ غَـيـرِ بَـابِ
لأَنِّـي لَـمْ أَجِـدْ مِصْـرَاعَ بَـابٍ ... يَكُونُ مِنَ السَّـحَـابِ إِلَى التُّرَابِ[177]

ولم يُقْبِل الخلفاء وذوي المناصب على أبي الشمقمق ، ومن ثم فقد اتخذ من شعره وسيلةً للسـخرية من حياته وفقره وبؤسـه ، وكان يتتبع حياته بكل ما فيها من دقائق مصـورًا لها ، يقول:(من مجزوء الرمل)

أَنَـا فِـي حَـالٍ تَـعَـالَـى ... اللهُ رَبِّـي أَيّ حَـالِ
وَلَـقَـدْ أَهْـزَلْـتُ حَـتَّـى ... مَـحَـتِ الشَّـمْـسُ خَـيَـالِـي
مَـنْ رَأَى شَـيـئًـا مُـحَـالاً ... فَـأَنَـا عَـيـنُ الـمُـحَـالِ
لَـيـسَ لِـي شَـيءٌ إِذَا قِـيـ ... ـلَ لِـمَـنْ ذَا قُـلْـتُ ذَا لِـي
وَلَـقَـدْ أَفْـلَسْـتُ حَـتَّـى ... حَـلَّ أَكْـلِـي لِـعِـيَـالِـي[178]

ويواصل سخريته من سوء حاله ، ويندب حظه ؛ فيقول : (من المجتث)

الـحَـمْـدُ لِلَّهِ شُـكْـرًا ... أَمْشِـي وَيَـرْكَـبُ غَـيـرِي
قَـدْ كُـنْـتُ آمُـلُ طِـرْفًـا ... فَصِـرْتُ أَرْضَـي بِـعَـيـرِ
لَـيـتَ الأُيُـورَ دَوَابٌ ... فَـكُـنْـتُ أَرْكَـبُ أَيـرِي
لَـمْ تَـرْضَ نَـفْسِـي لِـهَـذَا ... يَـا رَبِّ مِـنْـكَ لِـخَـيـرِ[179]

ويشكو النحس الذي يلازمه في كل شيء ، ويُفْصِح عن شعوره بالاضطهاد ، يقول :(من الخفيف)

لَو رَكِبْتُ البِحَارَ صَـارَتْ فِجَاجَا ... لا تَـرَى فِـي مُـتُـونِـهَـا أَمْـوَاجَـا
وَلَـو انِّـي وَضَـعْـتُ يَـاقُوتَـةً حَمْـ ... ـرَاءَ فِي رَاحَتِي لَصَـارَتْ زُجَاجَا

وَلَـــو انِّـــي وَرَدْتُ عَـــذْبًـــا فُـــرَاتًـــا عَـــادَ لا شَـــــكَّ فِيـــهِ مِلْحًـــا أُجَـــاجَـــا
فَـــإِلَـى اللهِ أَشْـــــتَكِـي وَإِلَـى الفَضْـــــــلِ فَقَدْ أَصْـــبَحَتْ بُزَاتِي دَجَاجَا[180]

ويصف فقره ، ويسخر من الحال التي وصل إليها ، يقول : (من الخفيف)

وَلَـقَـدْ قُـلْـتُ حِـينَ أَقْفَرَ بَـيـتِـي مِـنْ جِـرَابِ الـدَّقِـيـقِ وَالـفَـخَّـارَهْ
وَلَـقَـدْ كَـانَ آهِـلاً غَـيـرَ قَـفْـرٍ مُـخْـصِـــبًـا خَـيـرُهُ كَـثِـيـرَ الـعِـمَـارَهْ
فَـأَرَى الفَـأْرَ قَـدْ تَـجَـنَّـبْـنَ بَـيـتِـي عَـــائِـذَاتٍ مِـنْـــهُ بِـــدَارِ الإِمَـــارَهْ
وَدَعَـا بِـالـرَّحِـيـلِ ذِبَّـانَ بَـيـتِـي بَـيـنَ مَـقْـصُـــوصَـــــةٍ إِلَـى طَـيَّـارَهْ
وَأَقَـامَ السَّـــنَّـورُ فِي البَيـتِ حَولاً مَـا يَـرَى فِـي جَـوَانِـبِ البَيـتِ فَـارَهْ
يُـنْـغِـصُ الرَّأْسَ مِنْـهُ مِنْ شِـــدَّةِ الجُو ـعِ وَعَـيـــشٍ فِـــي أَذًى وَمَـــرَارَهْ
قُـلْـتُ لَـمَّـا رَأَيـتُـهُ نَـاكِـسَ الـرَّأْ ـسِ كَئِيبًـا ، فِي الجَوفِ مِنْـهُ حَرَارَهْ
وَيـكَ صَـــبْرًا فَأَنْتَ مِنْ خَيرِ سَـــنَّـ ـــــورٍ رَأَتْـهُ عَينَـايَ قَطُّ بِحَـارَهْ
قَالَ : لا صَـــبْرَ لِي ، وَكَيفَ مُقَامِي بِـبِـيُـوتٍ قَـفْـرٍ كَـجَـوفِ الـحِـمَـارَه
قُلْتُ : سِـــرْ رَاشِـــدًا إِلَى بَيتِ جَارٍ مُـخْـصِـــــبٍ رَحْلُـهُ عَظِيمِ التِّجَـارهْ
وَإِذَا الـعَـنْـكَـبُـوتُ تَـغْـزِلُ فِـي دَنِّـي وَحُـبِّـــي وَالـــكُـــوزِ وَالـــقَـــرْقَـــارَهْ
وَأَصَـــابَ الحُجَامُ كَلْبِي فَأَضْـــحَى بَـيـنَ كَـلْـبٍ وَكَـلْـبَـةٍ عَـيَّـارَهْ[181]

وينعت ابن منصور بالبخل الشديد ، ويسخر منه في قوله : (من البسيط)

مَا كُنْتُ أَحْسَـــبُ أَنَّ الخُبْزَ فَاكِهَةٌ حَتَّى نَزَلْـتُ عَلَى أَرْضِ بْنِ مَنْصُـــورِ
الحَـابِسِ الرَّوثِ فِي أَعْفَـاجِ بَغْلَتِـهِ خَوفًـا عَلَى الحَـبِّ مِنْ لَقْطِ العَصَـــافِيرِ
يَبْسُ اليَدَينِ فَمَا يَسْـطِيعُ بَسْـطَهُمَا كَـأَنَّ كَفَّيـهِ شُـــدَّا بِـالمَسَـــامِيرِ
عَهْـدِي بِـهِ آنِفًـا فِي مَرْبَطٍ لَهُمُ يُكَسْـكِسُ الرَّوثَ عَنْ نَقْرِ العَصَـافِيرِ[182]

ولم يَخْبُ الصراع الحزبي والسياسي في العصر العباسي ؛ فقد ظل مستعرًا بين العباسيين والعلويين ؛ حيث أذاق العباســيون العلويين كُلَّ ألوان الخســف والهوان ؛ فأذاقوهم من البأس أضعاف ما ذاقوه تحت الحكم الأُموي .

وهبَّ شعراء كل فريق للدفاع عن حزبه فكان السيد الحميري ، ودعبل الخزاعي ، والعكوك علي بن جبلة ، وديك الجن يدافعون عن العلويين ضد هجمات شعراء العباسيين ، متندرين بخصومهم العباسيين ، فهذا دعبل يتهكم بالخليفة المعتصم :

مُلُوكُ بَنِي العَبَّاسِ فِي الكُتْبِ سَبْعَةٌ وَلَمْ تَأتِنَا عَنْ ثَامِنٍ لَهُمُ كُتْبُ
كَذَلِكَ أَهْلُ الكَهْفِ فِي الكَهْفِ سَبْعَةٌ خِيَارٌ إِذَا عُدُّوا وَثَامِنُهُمْ كَلْبُ
وَإِنِّي لأُعْلِي كَلْبَهُمْ عَنْكَ رِفْعَةً لأَنَّكَ ذُو ذَنْبٍ وَلَيسَ لَهُ ذَنْبُ [183]

وإذا كانت السخرية تأتي في ثنايا الهجاء السياسي ؛ فإنها أصبحت تأتي في مقطوعات مستقلة على سبيل التندُّر والفُكَاهة ، مثل قول أعرابي في عجوز تزوَّجها [184]: (من الطويل)

لَهَا جِسْمُ بَرْغُوثٍ وَسَاقَا بَعُوضَةٍ وَوَجْهٍ كَوَجْهِ القِرْدِ بَلْ هُوَ أَقْبَحُ
تُبَرِّقُ عَينَيهَا إِذَا مَا رَأَيتَهَا وَتَعْبِسُ فِي وَجْهِ الضَّجِيعِ وَتَكْلَحُ
لَهَا مَضْحَكٌ كَالحَشّ تَحْسَبُ أَنَّهَا إِذَا ضَحِكَتْ فِي أَوجُهِ القَومِ تَسْلَحُ
وَتَفْتَحُ – لا كَانَتْ – فَمًا لَو رَأَيتَهُ تَوَهَّمْتَهُ بَابًا مِنَ النَّارِ يُفْتَحُ
إِذَا عَايَنَ الشَّيطَانُ صُورَةَ وَجْهِهَا تَعَوَّذَ مِنْهَا حِينَ يُمْسِي وَيُصْبِحُ

ولا عجب أن تكون تلك حال السخرية في العصر العباسي ما دام الفن الشعري يخضع لظروف البيئة وطبيعة وثقافة الفنان ، فنجده تارة يتخذ سبيله إلى الخَصْمِ عن طريق معايب الجسد ، وتارة أخرى عن طريق الأخلاق ، وثالثة عن طريق النسب .

ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل تعدَّى الهجاء الاجتماعي الساخر حدود الذات ؛ ليشمل مساحات أوسع وأرحب من حياة المجتمع ؛ فيصور ما يعانيه هذا المجتمع من اضطراب أو قصور أو فساد ؛ « فهناك ضربٌ منه يُصَوِّر نقمة الفرد على المجتمع ، وثورته على ما يشهد فيه من اختلال في المقاييس والقيم » [185].

والسَّخَر هو ردّ فعل الإنسان أمام « ظُلم الدهر ، وقسوة الطبيعة ، وعيوب المجتمع ، ونقائص الناس ، ونقائصه هو . يسخر بهذه جميعًا ، لا يَسُبّها ، ولا يحتد عليها ، ولا يثور بها ، بل يتأملها بهدوء ، ويُبْصِر سخافتها ، ويبصر تناقضها ، بل يُبْصِر تفاهتها وصغرها ، فيعلو عليها جميعًا ، ويتحدث عنها بابتسامة هادئة ، جليلة ، مستخفة ، هازئة . وحديثه ينبغي ألا

يكون محتدًّا ثائرًا ، وألا يكون سيئ اللفظ بذيئًا ، وإلا لَمَا كان سخرًا ، فالسَّخَر هو الهدوء التامّ والأدب التامّ ، والعلو التامّ على مصائب الدنيا » [186] .

خامسًا : السخرية في العصر الحديث :

نبَّهت النهضة في الأدباء والشعراء ملكة السَّخَر ؛ فدفعتهم إلى السخر من كل شيء ؛ من الاحتلال ، ومن فقرهم ، وقهرهم ، وفُرْقَتهم ، وجهلهم ؛ حتَّى من أنفسهم ؛ فظهر جيل من الشعراء والأدباء الساخرين ، أمثال : خليل مردم ، وأديب إسحاق ، ويعقوب صنوع ، وحافظ إبراهيم ، وأحمد شوقي ، وإسماعيل صبري ، وعادل الغضبان ، وبشارة الخوري ، وعباس العقاد ، وإبراهيم طوقان ، وغيرهم من الأدباء والشعراء الذين أمدتهم الثقافة الأوربية بروافد جديدة للسَّخَر وجدوها في كتابات موليير، وبلزاك ، وسويفت ، وفيكتور هيجو ، وغيرهم من أعلام الشعراء والأدباء الأوربيين الساخرين .

وقد استفز الفساد الاجتماعي مشاعر أدباء الأمة وشعرائها ، ودفعهم إلى إشهار سلاح السخرية في وجه المُفْسِدِينَ ، ومن ثَمَّ أصبحت السخرية نقدًا للواقع الاجتماعي بما فيه من فساد ؛ بهدف الإصلاح ، والتوجيه ، وتقويم العيوب ؛ فعندما يرى الساخر التناقض « يُوَاجِهُهُ بالضحك عليه والسخرية منه ، ويتخذ من ذلك مادته لنقده ، وقد يكون نقدًا لاذعًا ، ولكنه بخفته الساخرة قادرٌ على ألاّ يثير ردَّ فعل مضاد ؛ فينتصر الإنسان على التناقض ، ويقضي على الخطأ »[187] ؛ فهو لا يهدف إلى إيقاع بعض الأشخاص أو الجماعات في حرجٍ ، وإنما يريد أن يدفع الحرج عن الجماهير ، ويرد الخطر عن المجتمع ؛ مما يُعَدُّ عملاً إنسانيًا شريفًا [188].

وقد حمل فن السخرية منذ بداياته الأولى هذه الغاية على عاتقه ، فهو يهدف إلى «إصلاح المجتمع وتطويره من خلال إثارة الضحكات أو الابتسامات على أقل تقدير ، وذلك باستخدام أية أداةٍ متاحة » [189] ؛ وهو يبغي « تقويم الحكام وهدايتهم سواء السبيل ، أو تقويم المجتمع وعلاج أمراضه ، أو الثأر من الأقوياء والجبارين ؛ لأن الناس لا يستطيعون – أحيانًا – أن ينالوا من حكامهم بالأسلوب الجدي ؛ مخافةَ البطش أو التنكيل والعقاب » [190] ؛ فهي تعني « إنزال نوع من العقاب على كل من تغاير طبيعته طبيعة المجتمع وواقع الحياة » [191].

وإن كان أنجح سبيل هو سبيل المحاكاة التهكمية (parady) ، التي تعتمد على التقليد الذي يلجأ فيه « الساخر المُقَلِّد إلى نقل شخصية المُقَلَّد برمتها ، ويجعلها رداءً يلبسه ويتماجن به كما يشاء ، فكأنَّما هو يمسخه » [192] ، مثلما يحاكي الساخر إنسانًا به لُثْغَة ، ويجعل شخصية

هذا الألثغ كلها مركوزة في لُثْغَتِه ، وهو إذْ يفعل ذلك لا يكتفي بمجرد تقليده كعامة الناس ، بل يُوَلِّد من هذه الشخصية صورًا متنوعةً كلها مشتقة من اللُّثغَة ، أو من صورة هذا الألثغ وروحه العام .

على أن التقليد لا يكون على عمومه سخرية ، بل ربما يكون مدحًا إذا كان التقليد كأحسن ما يكون ؛ بحيث لا يتماجن بالشخصية التي يحكيها ، وإلا انقلب التقليد والمحاكاة سَخَرًا .

وأول صور السخرية « وأقدمها في تاريخ البشر ، وأكثرها انتشارًا بين العامة هي السخرية " بالمحاكاة " في الكلام ، والمشي ، والحركات الجسمية ، وأنواع السلوك المختلفة ، أي في السمات البارزة التي تُمَيِّز شخصية من الشخصيات ، كأسلوب ما من أساليب الكناية التي يمتاز بها كاتب من الكُتَّاب ، أو خطيب من الخطباء ، أو شاعر من الشعراء في قصيدة ما من قصائده ، كما فعل حافظ إبراهيم معارضًا شوقي في قصيدته المشهورة : "عن أي ثغر تتبسم " ، وهذا النوع من تقليد القصائد ، وإحالة الجاد منها بمعانيه إلى هزلي أو مضحك منتشر في الآداب الأوربية أكثر من انتشاره في الأدب العربي » [193].

ومن نماذجه في الأدب العربي محاكاة مصطفى حمام لمعلقة عمرو بن كلثوم التي مطلعها :(من الوافر)

أَلا هُبِّي بِصَحنِكِ فَاصْبِحينَا وَلا تُبقِى خُمُورَ الأَنْدَرِينَا [194]

ومطلع المحاكاة الساخرة :

أَلا غُورِى بِوشِكِ فَارِقِينَا وَلا تُبْقِى العِزَالَ فَتَرْجِعِينَا [195]

وقد تأتي السخرية من معارضة شعر قديم مشهور ، وقد كان حسين شفيق المصري ، رائد الشعر الحلمنتيشى ، سَبَّاقًا إلى ذلك ؛ حيث نجده يعارض شعراء المعلقات بقصائد غرضها الضحك والسخرية من المجتمع ؛ فإذا كان طرفة قد قال : (من الطويل)

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثهْمَدِ تَلُوحُ كَبَاقي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ[196]

فيعارضه المصري قائلاً :

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى تِرَامِهِمْ يَقُولُونَ لا تَرْكَبْ إِلَى المَوتِ وَاقْعُدِ

أَرَى وَقْعَتِي تَحْتَ التِّرَامِ تُمِيتُنِي وَلَيسَ طَبِيبٌ مِنْ هَلاكِي بِمُنْجِدِي[197]

وهذا ما فعله إبراهيم طوقان في معارضـــته لقصـــيدة شـــوقي في المُعَلِّم ، ومطلعها :(من الكامل)

قُمْ لِلمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلا كَادَ المُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولا [198]

فيعارضه إبراهيم طوقان الذي أُبْتُلِيَ بمحنة التعليم ؛ فيقول :

شَوقِي يَقُولُ ، وَمَا دَرَى بِمُصِيبَتِي " قُمْ لِلمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلا "

اقْعُدْ ! فَدَيتُكَ هَلْ يَكُونُ مُبَجَّلاً مَنْ كَانَ لِلنَّشْءِ الصِّغَارِ خَلِيلا ؟

وَيَكَادُ يُفْلِقُنِي الأَمِيرُ بِقَولِهِ : " كَادَ المُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولا "

لَو جَرَّبَ التَّعْلِيمَ شَوقِي سَاعَةً لَقَضَى الحَيَاةَ شَقَاوَةً وَخُمُولا !

حَسْبُ المُعَلِّمُ غُمَّةً وَكَآبَةً مَرْأَى الدَّفَاتِرِ بُكْرَةً وَأَصِيلا !

مِائَةٌ عَلَى مِائَةٍ إِذَا هِيَ صُلِّحَتْ وَجَد العَمَى نَحْو العُيُونِ سَبِيلا ! [199]

ومن الذين أسـهموا إسـهامًا كبيرًا في تطور فن السَّـخَر في العصـر الحديث ، وأَثْرَوا روح الفكاهة العربية بترجماتهم عن الغرب المُبَرَّزِين في هذا الميدان ؛ الأديب ســـالم النقاش ، وأديب إسحاق الذي قام بترجمة رائعة موليير "البخيل" .

وتُعَدُّ المحاولة التى قام بها يعقوب صـــنُّوع ســـنة 1872م من أكبر المحاولات في مجال الدراما النقدية اللاذعة أو الســـاخرة ، ذلك الأديب الذي ولد لأم مصـــرية يهودية وأب إيطالي ، وتَعَلَّم العبرية ، ودرس العهد القديم والجديد ، وفي عمر الثانية عشـــرة كان يقرأ القرآن الكريم بالعربية ، والعهد القديم بالعبرية ، والعهد الجديد بالإنجليزية ، وأكمل تعليمه في إيطاليا التي كان يجيد لغتها إجادة تامّة بالإضـافة إلى اللغة الفرنسـية أيضًـا ، كما درس الرسـم والموسـيقى ، وقام بتدريس كِلا المادتين في المدارس ، وقضـى المرحلة الثانية من حياته منفيًا في فرنسـا – فقد كان سـياسـيًّا ثائرًا – وتزوج من امرأة كاثولكية ، ونشـأ أولاده مسـيحيين في أوربا ، فلا يوجد في هذه الحِقْبة مَنْ هو أكثر تحررًا منه ، ولا يوجد مصريًّا نهل من الثقافة والفكر الأوربي كما فعل [200] .

وقد حمل بثقافته الأوربية وطبعه الثائر لواء التجديد في الفكاهة العربية ، التي ظَلَّتْ تعتمد أجيالاً من الزمان على الفنانين الشـــعبيين الذين يســـتخدمون مســـرحيات خيال الظل ، والمحاكاة التهكمية للأغنياء وأصحاب السلطة والجاه ، وقد بعث في الفكاهة والسَّخَر العربي رُوْحًا جديدة عندما أنشأ مسرحه الكوميدي الذي كان يكتب له بنفسه في شكل كوميدي ساخر ، رافضًا كلَّ الشرور والمساوئ التي كان يضـجُّ بها المجتمع العربي آنذاك ؛ حتىَّ إنه يمكن إرجاع أوليَّات

الكوميديا العربية إلى هذا الرجل الذي كان يستمع الخديوي إلى مسرحياته ؛ وكرَّمه وأطلق عليه "موليير مصر " ، ولكنه استدعاه إلى قصره ، وحذَّره من انتهاك التقاليد والتعدي على الدين بعدما أثارت مسرحيته " تعدد الزوجات " حفيظة المحافظين ، وقال له الخديوى – المشهور بحبه للنساء – « إذا كانت خصـــيتاك لا تكفيان أكثر من امرأة واحدة فلا تتوقع أن يكون الآخرون مثلك » [201] .

ولا تُصَوِّر الكوميديا القيم والمثل الأخلاقية السامية ، وإنما يَنْصَبُّ اهتمامها على تصوير مثالب الناس وعيوبهم ، ونقائصهم ومظاهر ضعفهم ، في إطار فني ينطوي على انسجام معكوس ؛ بغية التوجيه والإصلاح [202] .

وإذا كان كثيرٌ من الباحثين قد أنكروا على الكوميديا كل طابع فني ؛ فذلك لأنهم ظنوا أن الكوميديا لا يمكن أن تُوصف بالجمال ، ما دامت تنصبُّ على وصف القبح والشرِّ ، وشتَّى القيم الأخلاقية الدنيا ، ولكن نَسِـيَ هؤلاء أن الاستطيقا تدرس الجمال والقبح ، ومعنى هذا أن الجمال والقبح الطبيعيين غير الجمال والقبح الفنيين ، وأن ما في الطبيعة من قبح يمكن أن يصبح جمالاً في الفن[203] .

وتوالت مسرحيات يعقوب صنوع الساخرة التي هاجم بها الاستعمار كمسرحية " السائح والحمار " ، التي كانت سببًا في إغلاق مسرحه ، هذا المسرح الذي آمن صاحبه بأن الفكاهة والسَّخَر من أقوى أسلحة الإصلاح السياسي ؛ ولهذا أصدر جريدة " أبو نضارة رزقه " سنة 1877م ، وخَصَّصَها للفكاهة دون أن تتدخل في شئون الدين والسياسة الداخلية ، واعتمد في نهجها الساخر على أسلوب الحوار الذي يعتمد على المدح بما يشبه الذم ؛ لكي يدافع عن الخديوي إسماعيل المستبدّ ، في حين أنه يسخر منه ، إلا أنَّ الخديوي والإنجليز نَفُوه إلى فرنسا ، وهناك ظلَّ يوالي إصداراته الساخرة التي يهاجم فيها الاستعمار والخديوي ويهربها إلى مصر .

وظل يتابع إنتاجه النقدي الساخر معتمدًا على التشويه الساخر ، ورسم الصور الكاريكاتورية والقصص التاريخي وفكاهات العرب القديمة ، إلى أن ظهر سياسى ثائر جديد اعتمد السَّخَر والفكاهة أساسًا لمجابهة الفساد والاستعمار ، وهو عبد الله النديم الذي أصدر جريدة " التنكيت والتبكيت " ، وهي جريدة هزلية ظهرت سنة 1887م ، ثم يأتي شوقي وحافظ ليعتمدا على فن السَّخَر والتندُّر في مهاجمة الاستعمار وإصلاح الفساد ، ولم ينجُ المصريون أنفسهم من

طبع حافظ الساخر ، فقد راح يسخر من أحوالهم ويندد بأخلاقهم ، حتىَّ صار على نهج أبى الطيب المتنبى في السَّخَر منهم " وكم ذا بمصر من المضحكات " كما قال فيها أبو الطيب .

إنَّ المتصفح لترثنا العربي في القديم والحديث يجده زخرًا بشتى ألوان الفكاهة والسخر ، ولكنها سخرية أو فكاهة ذاتية في الأغلب الأعم إذا ما قيست بالفكاهة في ميدان السياسة والاجتماع ، ورُبَّمَا يرجع ذلك إلى أساليب الحُكْم المُطْلَق التي كانت تتبعها الحكومات ، وتبعية الأدب للأمراء والخلفاء الذين كانوا يتمتعون بالسيادة ، ولم يجد الكتاب الساخرون متنفسًا لملكاتهم الساخرة سوى بعض الأمثال والحِكَم شديدة التكثيف والإيجاز ، مثل قولهم : " أطعم الفم تستحي العين " ، و" الرشوة سيد كبير " ، و" ما حدش يقدر يقول للغول عينك حمرة " .

وقد وجد الأدباء والشعراء الساخرون في فساد الحكام والوُلاة والقُضاة مادةً خصبة لإنفاذ سخرهم وتمرير فكاهاتهم وتندُّرهم ، وإن كانوا عادةً لا يستطيعون الجهر بسخرهم لسطوة الحكام والولاة ، وعلى الرغم من ذلك لم يعدم الأدب العربي الفكاهة والسخرية السياسية التي إن لم تستطع أن تفرض نفسها على الحكومات في كتب الأدب ؛ فإنها فرضت نفسها عليهم في النكات التي حفظتها العامة ووعوا ما فيها ، مثلما حفظها الحكام أنفسهم وفطنوا إلى مغزاها ، ولكن هيهات لهم أن يحجروا على ضمير الأمة .

الخاتمة ونتائج البحث

المصطلح آلية ضبط وتحديد للدلالة ، وهو خلاصة التصوُّر لدى المُتَخَصِّصين ، ومِفْتَاح العلوم التي مَكَّنَت للحضارات ، والثقافة المُعَبِّرَة عن كل ما أنتجه الإنسان في تاريخه الطويل .

وقد تَبَيَّنَ أن أنسب المصطلحات بوصفه مرادفًا لمصطلح السخرية هو مصطلح (Sarcasm) ؛ لأنهما يعبران عن مضمون واحد ؛ فكُلٌّ منهما يصدر عن رفض عمل أو سلوك ما بطريقة مؤلمة ومخزية .

ويقابل المصطلح الأجنبي (Irony) في العربية مصطلح (المفارقة) ، وهو أفضل ترجمة له ، وهو مصطلحٌ أدبي يستعصي على الدخول فى إطار تعريف جامع مانع ، ويراوغ أي محاولة للصياغة في قالب محدد .

والسخرية (Sarcasm) غاية من غايات المفارقة (Irony) ؛ لذا نستطيع أن نجد وراء كل مفارقة (Irony) سخرية (Sarcasm) ، وليس العكس .

والهِجَاء ترجمة لمصطلح (Satire) ، وهو نِتَاج انفعالات عنيفة لا تعرف الرضا ولا ما يشبه الرضا ، منها : الغضب ، والكراهية ، والرغبة في الانتقام ؛ ويلجأ الهَجَّاء إلى التجريح ، والتشهير ، والانتقاص ، والمبالغة ردًّا على اعتداء ، أو استجابة لدواعي الموجدة والغضب .

وتختلف السخرية (Sarcasm) عن الهجاء (Satire) ؛ فالهجاء طريقة مباشرة فى الهجوم على الخَصم ، والسخرية طريقة غير مباشرة فى الهجوم ، وإن كان كُلٌّ منهما رُبَّمَا يروم هدفًا واحدًا .

ورُبَّما تكون المفارقة رافدًا من روافد الهجاء ودواعيه ، فتظاهُر البخيل بالكرم ادَّعاء ، في حين أن فعله يفضح تظاهره فيدعوك إلى هَجْوه ، فإن السخرية (Sarcasm) غاية من غايات الفنيين (المفارقة ، الهجاء) معًا .

ومن ثمَّ يكون الاتصال وثيقًا بين الفنون الثلاثة : المفارقة (Irony) ، والهِجَاء (Satire) ، والسخرية (Sarcasm) ، لكن لكل مصطلح من الثلاثة خصوصيته التى تمنع أن يحل محل الآخر .

وأول صور السخرية وأقدمها في تاريخ البشر ، وأكثرها انتشارًا بين العامة هي السخرية " بالمحاكاة " في الكلام ، والمشي ، والحركات الجسمية ، وأنواع السلوك المختلفة ، أي في السمات البارزة التي تميِّز شخصية ما من الشخصيات .

وتحتاج إلى أناة وتحكُّم ، وفيها يُعْرَض القول على العقل ، الذي يعمل فيه بالتعديل والاختيار ؛ ليَخْرُجَ القول مؤلمًا في غير إسفاف ولا إفحاش ، مضحكًا في غير ابتذال .

وهي أرقى أنواع الفكاهة (Humour) ، وأكثرها أهمية ، وفيها يُغَلَّف الضحك بالمرارة ، وتهدف الفكاهة إلى الإضحاك ، وإثارة انفعالات نفسية موجبة ، وفيها يَخْلُص الضحك ويَصْفُو ، ترويحًا عن النفس .

بينما تروم الســـخرية الإيلام ، أو الاســـتعلاء ، أو الانتقام ، أو التوجيه ، أو إصـــلاح المجتمع وتطويره ، أو تقويم العيوب ، وتُعَدُّ منفذًا للتنفيس عن الآلام ، ووســـيلة للهرب من الواقع المرير ، وفى هذا ما فيه من تشفٍّ عميق ، وإراحة للنفس المتعبة .

وتُبْرِز الســـخرية الحقائق المتناقضـــة ، والأفكار الســـلبية ، والثغرات ، وأوجه القصـــور والنقص ، والسلوك المُعْوَج ، وتقوم بتعريتها ، ثم تعرضـها في صـورة تُغْرِي بمقاومتها ، منبهةً إلى وجود العجز والتقصـــير ، وفيها يســـتعمل المتكلم ألفاظًا تقلب المعنى إلى عكس ما يقصـــده ، بأسلوب فكاهي يثير الضحك الممزوج بالمرارة والأسى .

ودخلت السخرية بوصفها مصطلحًا فى شَتَّى ميادين العلوم الانسانية ، ومن ثَمَّ كثرت تعاريفها وحدوها وتشعبت ، وتضمنت كثيرًا من المعانى ، كالاستهزاء ، والتذليل ، والتندُّر ، والتقليل ، والضحك .

وتوجد علاقة وثيقة بين المسخ والهجاء والسخرية ؛ فالمسخ تغيير فى الخلقة ، ويدخل في الهجاء الكاريكتيرى ، الذي يتم عن طريق تحريف الملامح المميِّزة لشخص معين ، والمبالغة فيها بطريقة تؤدي إلى حدوث أثر مضحك لدى المتلقي .

وتُعَدُّ كثير من مصطلحات البديع منبعًا رئيسًا من منابع السخرية ، التي ترتبط بالتورية ، والمبالغة ، والقول بالموجب ، والتوجيه والإيهام ، ونفي الشيء بإيجابه ، والهزل الذي يراد به الجد ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتأكيد الذم بما يشبه المدح ، والتهكُّم ؛ حيث يَتَخَفَّى المتكلم تحت مظهرٍ مُخَـادِع ، بُغْيـة الموارِبـة أو المنـاورة اللفظيـة ؛ بهـدف المُرَاوَغـة في الحـديث ، والإخفـاء المُتَعَمَّد للمعنى المقصـود ، المُسْـتَفاد من السـياق والقرائن ، وإظهار معنى مضـاد – غالبًا – لِمَا يُرِيد .

ولم يوجد معنى واضح لمصطلح السخرية (sarcasm) في الشعر الجاهلى ؛ ذلك لأن فن السخر وُلِدَ عند الجاهليين فى شكل المنافرات التى كان يحتكم فيها المتنازعان من رجالات العرب إلى رجل عالم فاضل شريف ، فيدَّعي كل منهما أنه أعزّ من صاحبه ، فمَنْ فَضَلَ صاحبَه منهما قدَّم نفره على نفر الآخر ، وبدأ المصطلح يزدهر بوصفه نوعًا من تمرُّد الأدباء على الفساد في العصر العباسى ، وزاد ظهوره بوصفه لونًا من الهجاء السياسى في العصر الحديث .

الهوامش

(1) سعيد شبار : المصطلح ؛ خيار لغوى وسمة حضارية ، سلسلة كتاب الأمة العدد (78) ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، قطر ، الطبعة الأولى ، 1421هـ ، ص29 -30 .

(2) وهبه رومية : شعرنا القديم والنقد الجديد ، سلسلة عالم المعرفة (207) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، آذار 1996م ، ص15.

(3) انظر : أحمد محمد ويس : الانزياح وتعدد المصطلح ، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، مجلد (25) ، ع3 ، يناير - مارس 1997م ، ص 58 – 59 .

وانظر أيضًا : حسن كاظم : مفاهيم الشعرية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، د . ت ، ص 117- 118 وما بعدها .

وأيضًا : حمادي صمود : العدول ؛ أسلوب تراث في نقد الشعر ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1990م .

(4) عبد المحسن طه بدر : في ندوة مشكلة المنهج في النقد العربي المعاصر، مجلة فصول ، مجلد1 ، عدد 3، 1981م ، ص244 .

(5) محمد مندور : في الميزان الجديد ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ، ص170 .

(6) عبد العزيز حمودة : المرايا المقعرة ، نحو نظرية نقدية عربية ، سلسلة عالم المعرفة(272) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أغسطس2001م ، ص9 .

(7) صالح عزم الله زياد : المصطلح الأدبي بين غناه بالمعرفة وغناه بالتاريخ ، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، مجلد (28) ، ع 3 ، يناير - مارس 2000م ، ص 103 .

(8) سعيد شبار : المصطلح ؛ خيار لغوى وسمة حضارية ، ص 32 .

(9) سورة التوبة : الآية (22) .

(10) سورة الأعراف : الآية (197) .

(11) الغزالي : إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، المجلد الأول ، ص 32 – 33 .

(12) سعيد شبار : المصطلح ؛ خيار لغوى وسمة حضارية ، ص115 .

(13) محمد علي الجابري : العقل السياسي العربي ؛ محدداته وتجلياته ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، 1990م ، ص 6 .

(14) سعيد شبار : المصطلح ؛ خيار لغوي وسمة حضارية ، ص99 .

(15) المرجع السابق ، ص46 .

(16) ذلك لأن « غموض المصطلح لهو آفة القراءة والفهم ، وكثيرًا ما تضيع الفائدة من القارئ الجاد ؛ لأنه تُرك مع المصطلحات ليستخرج معانيها بذكائه الشخصي من قرائن السياق إن وجدت القرائن ، فإذا لم توجد القرائن الدالة على المعنى المراد لم يفلح الذكاء في إدراك المراد » . انظر : تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط2 ، 1420هـ - 2000م ، 8/1 .

(17) زكريا إبراهيم : سيكولوجية الفكاهة والضحك ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط1 ، 1988م ، ص 18 .

(18) المرجع السابق ، ص 19 .

(19) سيزا قاسم : المفارقة في القص العربي المعاصر ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مج 2 ، ع 2 ، يناير فبراير مارس ، 1982م .

(20) نبيلة إبراهيم : المفارقة ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مج 7 ، ع 3 ، إبريل وسبتمبر ، 1987م .

(21) عبد الفتاح عوض : في الأدب الإسباني ؛ السخريات في روايات بابيستير ؛ دراسة لغوية سيكولوجية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ط1 ، 2001م .

(22) محمد العمري : بلاغة السخرية الأدبية ، مجلة علامات في النقد ، النادي الثقافي ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، مج 5 ، ج 20 ، صفر 1417 هـ - يونيو 1996 م .

(23) محمد العبد : المفارقة القرآنية ؛ دراسة في بنية الدلالة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 2 ، 1426 هـ - 2006م .

(24) ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق علي عبد الله الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت ، مادة (سَخِرَ) ، 22/ 1963.

(25) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(26) سورة الزخرف : الآية 47 .

(27) سورة المؤمنون : الآية 109 ، 110 .

(28) سورة المُطَفِّفِين : الآيتان 29 ، 34 .

(29) المصدر السابق : مادة (هكم) ، 51/ 4682 .

(30) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(31) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(32) المصدر السابق ، مادة (هكم) ، 51/ 4681 .

(33) الرازي : مختار الصـــحاح ، عني بترتيبه محمود خاطر ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ط5 ، 1358هـــــ - 1939م ، مادة (زرى) ، ص271 .

(34) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (طنز) ، 31/ 2709 .

(35) المصدر السابق : مادة (دعب) ، 16/ 1377 .

(36) المصدر السابق : مادة (هزل) ، 51/ 4663 .

(37) سيزا قاسم : المفارقة في القص العربي المعاصر ، ص 144 .

(38) زكريا إبراهيم : سيكولوجية الفكاهة والضحك ، ص 8 .

(39) حامد الهوال : السخرية في أدب المازني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1982م ، ص 35.

(40) نبيل راغب : الأدب الساخر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2000م ، ص13.

(41) نعمان محمد أمين طه : الســـخرية في الأدب العربي ؛ حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر ، القاهرة ، ط1 ، 1978م ، ص 14.

(42) شـاكر عبد الحميد : الفكاهة والضـحك ، سـلسـلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، يناير 2003م ، ص 52.

(43) نعمان محمد أمين طه : السخرية في الأدب العربي ، ص13.

(44) عدنان خالد عبد الله : النقد التطبيقي التحليلي ؛ مقدمة لدراســة الأدب وعناصــره في ضــوء المناهج النقدية الحديثة ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1، 1986م ، ص 27.

(45) شاكر عبد الحميد : الفكاهة والضحك ، ص52 .

(46) نعمان محمد أمين طه : السخرية في الأدب العربي ، ص14.

(47) المرجع السابق ، ص14- 15.

(48) Current literary terms , Pe,252 .

(49) أمل دنقل : الأعمال الشـعرية الكاملة ، دار العودة ، بيـــــروت ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1985 م ، قصيدة خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين ، ص 399 .

(50) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، شرح : أبو البقاء العكبري ؛ المُسَمَّى بالتبيان في شرح الديوان ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا ، إبراهيم الإبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1376هـ - 1976م ، 75/3 .

(51) مجدي وهبه : معجم مصطلحات الأدب ، ، مكتبة بيروت ، لبنان ، 1974م ، ص 14 ، 381 .

(52) انظر تاريخ هذا المصطلح Irony فى المراجع الآتية :

- Scott. A .F; Current Literary Terms, A Concise Dictionary. Pe151, 152, 258.
- Baldick. Chics; The Cncise Oxford Dictionary of Literary Terms. Oxford New York, Oxford University Press 1991, pe. 114
-Webster's new American Dictionary. Pe. 278
-Acudd. J.; A Dictionary of Literary Terms and Literary Theory, Third Edition., p.e 458.

(53) ريمون غوش : الفلسفة السياسية في العهد السقراطي ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2008م ، ص 20 .

(54) The Shorter Oxford English Dictionary on Historical Principles, Prepared By William little, H. W. Fowler, J. Coulson, Revised and Edited by C.T. Onios, Oxford, At the Clareendon Press, (1956), p.1045.

)55(History of Ideas, Studies of Selected Pivotal Ideas, Volume ?, Charles Scribner s Sons, New York, (1973), p. 626.

(56) ميوك ، المفارقة ، ص 26.

(57) Corbett, Edward.PJ: classical Rhetoric for the modern student, p.454, Oxford University press 1990.

(58) محمد العمري : بلاغة السخرية الأدبية ، ص41.

(59) انظر Adictionary of literary terms and literaly theory . p.e: 458.

وانظر أيضًا : مجدي وهبه : معجم مصطلحات الأدب ، ص 262 .

وريمون غوش : الفلسفة السياسية في العهد السقراطي ، ص 20 .

(60) سوف أستخدم المصطلح الأجنبي (Irony) في مرحلة استقصاء تاريخه وسياقاته ، دون ترجمته إلى العربية ؛ حتى أنتهي من هذا الاستقصاء ، وأتمكن من وضع المصطلح العربي المناسب له .

(61) سيزا قاسم : المفارقة فى القص العربى المعاصر ، ص144 .

(62) J.Acudd: Adictionary of literary Term and literary theory, pe.461.

(63) المصدر السابق : pe.458

(64) سورة الواقعة : الآية 93 .

(65) A.F . Scott, current literary Terms , pe251-252-258.

(66) عبد الحميد شيحة : المفارقة المسرحية بين النظرية والتطبيق ، الكتاب التذكاري لكلية دار العلوم بمناسبة الاحتفال بالعيد المئوي ، مطبعة عبير للكتاب ، القاهرة ، 1413 هـ - 1993م ، ص 806 .

(67) A Dictionary of literary Terms and literary theory. pe : 458 .459

(68) AdICTIONARY OF LITERARY TERMS; PE . 459-460 , 461

(69) Humour الفُكَاهة أو الحالة الضـاحكة : هي تلك الصـفة في العمل ، أو في الكلام ، أو في الموقف ، أو في الكتابة التي تثير الضحك لدى النَّظارة أو القُرَّاء ، وقد اختلف النقاد في هذه الصفة ؛ فأرسطو مثلاً نسبها إلى عيب أو تشويه في أمرٍ ما لا يصل إلى مرتبة الإيذاء أو الإيلام ؛ فالضحك عنده تعبير عن استهزاء ملطف ، ينتج عن اكتشاف نقطة ضعف لدى الغير يعتقد الضاحك أنه لا يتصف بها ، أما الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز (Thomas Hobbes) (1588- 1679م) فينسب الضحك إلى ما أسماه " المجد المفاجئ " (Asudden glary) ، ويعني بذلك اكتشاف الإنسان لدى الغير أو في موقف ما يساعده على الرضا عن نفسه أكثر مما هو راضٍ عنها . وهناك نظريات كثيرة ازدهرت بين فلاسفة القرنين : الثامن عشر والتاسع عشر بأوربا ، مثل : كانط (Kant) ، وشوبنهور (Schopenhauer) ، وهربرت سبنسر (Herbert Spencer) تدور حول فكرة كون الضحك نتيجة لإدراك التعارض الواضح بين أمرٍ مألوف وحقيقة غير متوقعة ، بشرط ألا ينتج عن ذلك ضرر بليغ ، وهناك نظريات أخرى كثيرة في علم النفس تُرْجِع الضحك إلى اتجاهات اعتدائية جنسية كامنة في النفس ، تُحَرَّر فجأة من سيطرة التحكم العقلي ، فتنفجر بالضحك تعبيرًا عن عداوة فطرية بين الإنسان وما يحيط به .

انظر : مجدي وهبه : معجم مصطلحات الأدب ، ص 225 - 228 .

وانظر أيضًا : Arabic political Humour 70-73 , 37 –41

وانظر أيضًا (Encyclopedia Britannica(Humour ؛ حيث ذكرت دائرة المعارف أن الفكاهة إحدى صفات الساخر التي تسيطر عليه ، وهى اصطلاح لا يتأبى على التعريف وحسب ، بل يتعالى عليه ، ويمكن أن يُعَدَّ من علامات النقص في روح الفكاهة البحث عن تعريف لها .

(70) تتبَّعَ خالد سليمان مصطلح " المفارقة " في القرآن الكريم ، وفي التراث النقدي العربي من خلال النظر في " لسان العرب" ، وفي " البيان والتبيين " ، وفي " المثل السائر " ، وفي " العمدة "، وفي " منهاج البلغاء وسراج الأدباء" ، وفي " معجم النقد العربي القديم " لأحمد مطلوب ؛ فلم يجده في كل هذه المصادر التراثية إلا مرة واحدة عند البرقوقي في كتابه " التلخيص في علوم البلاغة " .

انظر : خالد سليمان : نظرية المفارقة ، مجلة أبحاث اليرموك ، سلسلة الآداب واللغويات ، العدد الثاني ، المجلد التاسع ، 1991م ، ص 55- 84 .

- وإن كان لسان العرب ذكر أن المفارقة بمعنى المُبَايَنة ، يقول : فارق الشيء مفارقةً وفِرَاقًا بَانَيه . انظر مادة (فرق) في لسان العرب (الباحث)

(71) انظر اتفاق الكُتَّاب والباحثين على مصطلح " المفارقة " كترجمة لمصطلح (Irony) في الدراسات التالية :

- سعيد شوقي : بناء المفارقة في المسرحية الشعرية ، يترك للطبع والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2001م ، ص 5-91 .

- سيزا قاسم : المفارقة في القص العربي المعاصر .

- خالد سليمان : نظرية المفارقة ، وكذلك دراسته " المفارقة في شعر محمود درويش " ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، العدد الثاني ، 1995م .

- أمينة راشد : المفارقة الروائية والزمن التاريخي ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، المجلد الحادي عشر ، العدد الرابع ، شتاء 1993م .

- نبيلة إبراهيم : المفارقة .

- سامح الرواشدة : المفارقة في شعر أمل دنقل ، مجلة دراسات العلوم الإنسانية ، المجلد الثاني والعشرون ، العدد السادس ، 1995م .

(72) اعتمد محمد العمري مصـــطلح " الســـخرية " كترجمة للمصـــطلح الأجنبي (Irony) ، وليس ترجمة لمصطلح المفارقة . انظر : محمد العمري : بلاغة السخرية الأدبية ، ص22-44 .

(73) سعيد شوقي : بناء المفارقة في المسرحية الشعرية ، ص27 .

(74) سورة النساء : الآية 138 .

(75) راجع : أحمد الحوفي : الفكاهة في الأدب ، نهضة مصر ، القاهرة ، 1375هـ - 1956م ، 1/ 37- 38 .

(76) حامد الهوال : السخرية في أدب المازني ، ص26.

(77) المرجع السابق ، ص 32 .

(78) عبد الحميد شيحة : المفارقة المسرحية بين النظرية والتطبيق ، ص806 .

(79) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (فرق) ، 38/ 3398 .

(80) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 2/ 43.

(81) القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1386هـ- 1966م ، ص 24 .

(82) ابن رشيق القيرواني : العمدة ؛ في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط5 ، 1401هـ - 1981م ، 172/2.

(83) A.F.scott : current litreary terms, pe 257.

(84) قدامة بن جعفر : نقد الشعر، تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت ، ص 113 .

(85) المصدر السابق ، ص 96 .

(86) وردت مشتقات كثيرة فى العربية للهجاء تدور كلها حول البشاعة والشدة والكشف ، ففى لسان العرب: المرأة تهجو زوجها : تذم صـحبته ، هَجُوَ يومُنا : اشـتدَّ حرُّه ، وهَجِيَ البيت : انكشـف ، الهِجَاء : تقطيع اللفظة بحروفها ، والهَجَاة : الضِّفْدَع ، وهَجِيَتْ عين البعير : غارت .

انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة (هجا) ، 51/ 4627 .

(87) مجدي وهبه : معجم مصطلحات الأدب ، ص 497.

(88) انظر المراجع الآتية :

- Howatson. M.C; The Oxford Companion to Classical Literature, New Edition , Oxford, 1989 pe 510

-A.F. Scott ; Carrent Literary Terms , p. 258.

وانظر أيضًا مجدى وهبه : معجم مصطلحات الأدب ، ص 499 ، تحت مصطلح (Satyric drama)

(89) عندما غضب الإله جوبتير على ليكاوون لتجبره وتحديه له مسخه ذئبًا ، رأسه فقط رأس ذئب ، وكسا جلده شعرًا ، ولكن قوامه قوام آدمي ، وتحول أخوه فايتون إلى أشجار، وتحول كاليستو إلى دب ، ومُسِخ كورنيسب غرابًا ، ومُسِخ أوكيري فرسًا .

- راجع أوفيد : مسخ الكائنات ، ترجمه وقدم له ثروت عكاشة ، راجعه على الأصل اللاتيني مجدي وهبه، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط1 ، 1971م ، ص 64 – 65 ،97 ، 100، 104 .

(90) شاكر عبد الحميد : الفكاهة والضحك ، ص370.

(91) المرجع السابق ، ص374.

(92) المرجع السابق ، ص15.

(93) ابن الرومي : ديوان ابن الرومي ، تحقيق حسين نصار ، مركز تحقيق التراث ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، طبعة ثالثة منقحة ، 1424هـ - 2003م ، 3/ 1217 .

(94) انظر المراجع الآتية ، وقد تحدثت عن فن الهجاء (Satire) ، وهى :

-The Oxford English Daidtionary, pr. 500 , 501 J.A simpson and E.S.C Weiner Second Edition, Volume XIV exford, 1989.

-A.F. Scott Current Literary terms, pe. 257.

-Chics Baldick: The cmcise oxford Dictionary literary Terms, pe. 198, Oxford New York, Oxford Uinversity press 1991.

-Kogetis international thesausas English Words and phroses, pe. 549.

-Wbester's New Amrican Dictionary, pe, 463.

-The oxford companion to classical literoture, pe: 507, New Edition oxford 1989 M. C. Howatson

- وكذلك مجدي وهبه : معجم مصطلحات الأدب ، ص 496 - 498.

(95) انظر : مادة (Satire) في دائرة المعارف الفرنسية .

(96) انظر : مجدي وهبه : معجم مصـــطلحات الأدب ، ص 495 ؛ حيث ترجم كلمة (Sarcasm) بمعنى الاستهزاء .

(97) انظر : سعيد شوقي : بناء المفارقة في المسرحية الشعرية ، ص 71 ، 74 ؛ حيث ترجم كلمة (Sarcasm) بمعنى السخرية .

(98) محمد العمري : بلاغة السخرية الأدبية ، ص 22.

(99) Current literary terms, pe. 257.

(100) Adictionary of Litreary terms, pe. 182. L Mortin Gray

(101) انظر : مجدي وهبه : مصطلحات الأدب ، ص 495 .

وانظر أيضًا :

The oxford English Dictionary, pe 480. Valuve x17, 1989.

(102) أبو هلال العســكري : الفروق اللغوية ، تحقيق : أبو عمرو عماد زكى البارون ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د . ت ، ص 268 – 269.

(103) نعمان محمد أمين طه : السخرية فى الأدب العربى ، ص 13.

(104) سورة هود : الآية 38 .

(105) انظر : نعمان محمد أمين طه : السخرية فى الأدب العربى ، ص10 .

(106) خالد القشطيني : السخرية السياسية العربية ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1992م ، ص 16- 17 .

(107) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 117/3 .

(108) Edgar Johnson : Treasury of sotise , pe 13 Nowyork 1944

(109) نعمان محمد أمين طه : السخرية فى الأدب العربي ، ص 68 .

(110) المرجع السابق ، ص13 .

(111) إبراهيم عبد القادر المازني : حصــاد الهشــيم ، الهيئة المصــرية العامة الكتاب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ،2000م ، ص 310.

(112) عباس محمود العقاد : جحا الضاحك ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت ، ص 68.

(113) إبراهيم عبد القادر المازنى : حصاد الهشيم ، ص 302.

(114) عباس محمود العقاد : جحا الضاحك ، ص 35.

(115) محمد العمرى : بلاغة السخرية الأدبية ، ص 25- 29 .

(116) الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، حققه وعلق عليه وفهرسه عبد الحميد هنداوي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط2 ، 1245هـ - 2004م ، ص 300- 301.

(117) ابن أبي الإصــبع : تحرير التحبير ، تحقيق حفني محمد شــرف ، المجلس الأعلى للشــئون الإســلامية ، القاهرة ، ط1 ، 1963م ، ص 268.

(118) هذا الشاهد غير موجود فى الكتب البلاغية السابقة عليه وهى : البديع لابن المعتز ، ونقد الشعـر لقدامة بن جعفر، والنكت فى إعجاز القرآن للرماني ، والصــناعتين للعســكري ، وإعجاز القرآن للباقلاني ، والعمدة لابن رشيق القيرواني ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، والبديع فى نقد الشعر لأسامة بن منقذ ، والمثل السائر لابن الأثير ، والتبيان لابن الزملكاني ، وغيرهم .

(119) عمر بن أبي ربيعة : ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تقديم وترتيب وشــرح قدري مَايُو ، عالـــــم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1417هـ - 1997م ، 2/ 339 .

(120) ابن أبي الإصبع : تحرير التحبير ، ص268- 269.

121() العسكري : كتاب الصناعتين ؛ الكتابة والشعر، تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 2 ، 1971م ، ص378.

122() ابن المعتز: البديع ، تحقيق كراتشقوفسكي ، دار المسيرة ، بيروت ، ط3 ،1982م ، ص65.

123() قدامة بن جعفر: نقد الشعر ، ص146.

124() العسكري: كتاب الصناعتين ، 378.

125() ابن أبي الإصبع : تحرير التحبير ، ص 148-150.

126() الجرجاني : الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1423هـ- 2002م ، ص 227 .

127() ابن أبي الإصبع : تحرير التحبير ، ص599.

128() الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، ص320.

129() المصدر السابق ، ص 320- 321.

(130) الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 318.

(131) ابن أبي الإصبع : تحرير التحبير ، ص596 . ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، قدمه وحققه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانه ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د.ت ، 44/2 وما بعدها .

(132) ابن الأثير : المثل السائر ، الصفحة نفسها .

(133) بشار بن برد : ديوان بشار بن برد ، قرأه وقَدَّمَ له إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 2000م ، ص 433 . ابن الأثير : المثل السائر ،44/2 وما بعدها .

134() ابن رشيق القيرواني : العمدة ، 80/2 .

135() ابن أبي الإصبع : تحرير التحبير ، ص377.

136() سورة البقرة : الآية 273.

137() ابن أبي الإصبع: تحرير التحبير ، ص163.

138() المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

139() المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

140() الجاحظ : البيان والتبين ، حققه وشرحه حسن السندوبي ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1351هـ - 1932م ، 93/1.

141() ابن المعتز: البديع ، ص63.

(142) ابن أبي الإصبع: تحرير التحبير ، ص138.

(143) العلوي : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق ، تقديم إبراهيم الخولي ، سلسلة الذخائر (186) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 2009م ، 82/3.

(144) أبو نواس : ديوان أبي نواس ، حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي ، مطبعة مصر ، القاهرة ، 1372هـ- 1953م ، ص 510 .

(145) العلوي : الطراز ، 3/ 82.

(146) الخطيب التبريزي : شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، كتب حواشيه غريد الشيخ ، وضع فهارسه العامة أحمد شمس الدين ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1421هـ - 2000م ، 21/1 .

(147) دعبل الحزاعي : ديوان دعبل بن علي الخزاعي ، جمعه وحققه محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1409هـ - 1989م ، ص 180 .

(148) النابغة الذبياني : ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، سلسلة ذخائر العرب (52) ، دار المعارف ، القاهرة ، 1977م ، ص 44 .

(149) سورة الواقعة : الآية 25 ، 26 .

(150) سورة مريم : الآية 62 .

(151) سورة الأعراف : الآية 126 .

(152) سورة المائدة : الآية 59 .

(153) الحصري القيرواني : زَهْرُ الآداب وثَمَرُ الألباب ، شرح علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1372هـ - 1953م ، 300/1 .

(154) العباسي : شرح شواهد التلخيص المسمى معاهد التنصيص ، وبهامشه بدائع البدائه لعلي بن ظافر الأزدي ، د. ط ، د. ت ، 32/2 .

(155) ابن حجة الحَمَوي : خزانة الأدب وغاية الأرب ، دراسة وتحقيق كوكب دياب ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1421هـ - 2001م ، ص 98 . ابن أبي الإصبع : تحرير التحبير ، ص 568 .

(156) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(157) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(158) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(159) المصدر السابق ، الصفحة نفسها . ابن أبي الإصبع : تحرير التحبير ، ص 570 .

(160) أحمد الحوفي : الفكاهة في الأدب ، 73/1 .

(161) نعمان محمد أمين طه : السخرية في الأدب العربي ، ص39.

(162) الألوسي البغدادي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، مطبعة مصر ، الإسكندرية ، 1921م ، 301/1 .

(163) سورة الكهف : الآية 34 .

(164) محمد محمد حسين : الهجاء والهجاءون فى الجاهلية ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، د.ت ، ص 109 .

(165) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، دار الهلال ، القاهرة ، د .ت ، 84/1 .

(166) سورة الصافات : الآية 2 ، 13، 14 .

(167) سورة التوبة : الآية 79 .

(168) سورة الحجرات : الآية 11 .

(169) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، منشورات دار الأندلس ، بيروت ، ط4 ، 1401هـ - 1981م ، 2 / 71 .

(170) المفضل الضبي : المفضليات ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، بيروت ، لبنان ، ط6، د . ت ، ص 607 .

(171) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، تحقيق وشرح أحمد محمود شاكر، دار المعارف ، القاهرة ، 1386هـ - 1966م ، 1/ 521 .

(172) ابن هشـام : سـيرة النبي (ﷺ) ، راجع أصـولها وضـبط غريبها وعَلَّق حواشـيها ووضـع فهارسـها محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطابع شـركة الإعلانات الشـرقية ، مؤسـسـة دار التحرير للطبع والنشـر ، القاهرة ، 1383هـ ، 15/2 .

(173) نعمان محمد أمين طه : السخرية فى الأدب العربى ، ص68.

(174) شوقي ضيف : العصر العباسى الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ط الثامنة عشر ، د . ت ، ص242.

(175) ابن المعتز : طبقات الشعراء ، در المعارف ، القاهرة ، 1962م ، ص 349 .

(176) نبيل راغب : الأدب الساخر ، ص21.

(177) أبو الشـمقمق : ديوان أبي الشـمقمق ، جمعه وحققه وشـرحه واضـح محمد الصـمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1415هـ - 1995م ، ص27 - 28 .

(178) المصدر السابق ، ص 77- 78 .

(179) المصدر السابق ، ص 46.

(180) المصدر السابق ، ص 33- 34.

(181) المصدر السابق ، ص 53- 55.

(182) المصدر السابق ، ص 45.

(183) دعبل الحزاعي : ديوان دعبل بن علي الخزاعي ، ص 19 .

(184) شـهاب الدين محمد الأبشـيهي : المسـتطرف في كل فن مسـتظرف ، شـرح مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1993م ، 261/1 .

(185) فوزي عيسى : الهجاء في الأدب الأندلسي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط1 ، 2007م ، ص153.

(186) محمد النويهي : ثقافة الناقد الأدبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشـــر ، القاهرة ، ط1 ، 1949م ، ص 333.

(187) نبيل راغب : الأدب الساخر ، ص23.

(188) حامد الهوال : السخرية في أدب المازني ، ص31.

(189) نبيل راغب : الأدب الساخر ، ص19.

(190) أحمد الحوفي : الفكاهة في الأدب ، 93/2.

(191) نبيل راغب : الأدب الساخر ، ص13.

(192) نعمان محمد أمين طه : السخرية فى الأدب العربى ، ص37 .

(193) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(194) عمرو بن كلثوم : ديوان عمرو بن كلثوم ، جمعه وحققه وشـرحه إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1411هـ - 1991م ، ص 64 .

(195) مجدي وهبه : معجم مصطلحات الأدب ، ص 386 .

(196) طرفة بن العبد : ديوان طرفة بن العبد ، شـــرحه وقدم له مهدي محمد ناصـــر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1407هـ - 1987م ، ص 19 .

(197) حسين شفيق المصري : ديوان شاعر الفكاهة ؛ رائد الشعر الحلمنتيشي ، جمع وشرح وتقديم مصطفى رجب ، دار العلم والإيمان ، القاهرة ، ط1 ، 2009م ، ص 7.

(198) أحمد شوقي : الشوقيات ، دار العودة ، بيروت ، 1988م ، 180/1 .

(199) عبد العزيز شرف : الأدب الفكاهي ، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ، القاهرة ، ط 1، 1992م ، ص 56- 57 .

(200) Arab political humor, The Age Of resurgence. The sutiscal Press, Pe 70, Khalid Kishtainy.

(201) المصدر السابق Pe 70 .

(202) زكريا إبراهيم : الفكاهة والضحك ، ص 110 .

(203) المرجع السابق ، ص 130 .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

*** ابن أبي الإصبع – عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المصري (ت654هـ) :**

1- تحرير التحبير ، تحقيق حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ط1 ، 1963م .

*** ابن الأثير- ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت637هـ):**

2- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، قدمه وحققه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانه ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د.ت .

*** ابن حِجَّة الحَمَوِي- تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد بن عبد الله (ت 837هـ):**

3- خزانة الأدب وغاية الأرب ، دراسة وتحقيق كوكب دياب ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1421هـ - 2001م .

*** الخطيب التبريزي - أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني (ت 502هـ):**

4- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، كتب حواشيه غريد الشيخ ، وضع فهارسه العامة أحمد شمس الدين ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1421هـ - 2000م .

* **ابن رشيق القيرواني – أبو على الحسن (ت456هـ):**

5- العمدة ؛ في محاســـن الشـــعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط5 ، 1401هـ- 1981م .

* **ابن الرومي – أبو الحسن علي بن العباس بن جُرَيج (ت283هـ):**

6- ديوان ابن الرومي ، تحقيق حســـين نصـــار ، مركز تحقيق التراث ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، طبعة ثالثة منقحة ، 1424هـ – 2003م .

* **ابن قتيبة الدينوري – أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ):**

7- الشعر والشعراء ، تحقيق وشرح أحمد محمود شاكر، دار المعـــارف ، القاهرة ، 1386هـــ- 1966م .

* **ابن المعتز – أبو العباس عبد الله (ت296هـ):**

8- البديع ، تحقيق كراتشقوفسكي ، دار المسيرة ، بيروت ، ط3 ،1982م .

9- طبقات الشعراء ، در المعارف ، القاهرة ، 1962م .

* **ابن منظور المصري – أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم (ت711هـ) :**

10- لسان العرب ، تحقيق علي عبد الله الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت.

* **ابن هشام- أبو محمد عبد الملك (218هـ):**

11- سـيرة النبي (ص) ، راجع أصـولها وضـبط غريبها وعَلَّق حواشـيها ووضـع فهارسـها محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطابع شـركة الإعلانات الشـرقية ، مؤسـسـة دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ، 1383هـ .

* **الأبشيهي – شهاب الدين محمد (ت850هـ) :**

12- المستطرف في كل فن مستظرف ، شرح مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1993م .

* **أبو الشمقمق – مروان بن محمد (ت200هـ) :**

13- ديوان أبي الشـمقمق ، جمعه وحققه وشـرحه واضـح محمد الصـمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1415هـ – 1995م .

* **أحمد شوقي (ت 1932م) :**

14- الشوقيات ، دار العودة ، بيروت ، 1988م .

* **أمل دنقل :**

15- الأعمال الشعرية الكاملة ، دار العودة ، بيــروت ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1985 م .

*** بشار بن برد بن يرجوخ – أبو معاذ (ت168هـ):**

16- ديوان بشار بن برد ، قرأه وقَدَّمَ له إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 2000م .

*** الجاحظ – أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ):**

17- الـبيان والتبيين ، حققه وشرحه حسن السندوبي ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1351هـ – 1932م .

*** الجرجاني- ركن الدين محمد بن علي بن محمد (ت بعد سنة 729هـ):**

18- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1423هـ- 2002م .

*** حسين شفيق المصري :**

19- ديوان شاعر الفكاهة ؛ رائد الشعر الحلمنتيشي ، جمع وشرح وتقديم مصطفى رجب ، دار العلم والإيمان ، القاهرة ، ط1 ، 2009م .

*** الحصري القيرواني – أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري (ت 413هـ) :**

20- زَهْرُ الآداب وثَمَرُ الألباب ، شـرح علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1372هـ – 1953م .

*** الخطيب القزويني – محمد بن عبد الرحمن بن عمر (ت739هـ) :**

21- الإيضـاح في علـــوم البلاغة ، حققه وعلق عليه وفهرسه عبد الحميد هنداوي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط2 ، 1245هـ – 2004م .

*** دعبل الخزاعي- أبو علي دعبل بن علي بن رَزين (ت246هـ):**

22- ديوان دعبل بن علي الخزاعي ، جمعه وحققه محمد يوسف نجـــم ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1409هـ- 1989م .

*** الرازي – محمد بن أبي بكر بن عبد القادر:**

23- مختار الصحاح ، عني بترتيبه محمود خاطر ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ط5 ، 1358هـ – 1939م .

*** طرفة بن العبد :**

24- ديوان طرفة بن العبد ، شــرحه وقدم له مهدي محمد ناصــر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1407هـ – 1987م .

* **العباسي – عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد (ت 963هـ) :**

25- شرح شواهد التلخيص المسمى معاهد التنصيص ، وبهامشه بدائع البدائه لعلي بن ظافر الأزدي ، د. ط ، د. ت .

* **العسكري – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت 395هـ):**

26- الفروق اللغوية ، تحقيق : أبو عمرو عماد زكى البارون ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د.ت .

27- كتاب الصناعتين ؛ الكتابة والشعر، تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 2 ، 1971م .

* **العلوي – يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم (ت749هـ) :**

28- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق ، تقديم إبراهيم الخولي ، سلسلة الذخائر (186) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 2009م .

* **عمر بن أبي ربيعة – أبو الخطاب عمر بن عبد الله (ت93هـ):**

29- ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تقديم وترتيب وشرح قدري مَايُو ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1417هـ- 1997م .

* **الغزالي – أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ) :**

30- إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د .ت .

* **القاضي الجرجاني – أبو الحسن علي بن عبد العزيز (ت392هـ):**

31- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1386هـ- 1966م .

* **قدامة بن جعفر – أبو الفرج (ت337هـ):**

32- نقد الشعر، تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.

* **المتنبي – أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت354هـ):**

33- ديوان أبي الطيب المتنبي ، شرح : أبو البقاء العكبري ؛ المُسَمَّى بالتبيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا ، إبراهيم الإبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1376هـ - 1976م .

* **محمود شكري الألوسي البغدادي :**

34- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، مطبعة مصر، الإسكندرية ،1921م .

* **المسعودي – أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ) :**

35- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، منشـورات دار الأندلس ، بيروت ، ط4 ، 1401هـ - 1981م .

*** المُفَضَّل بن محمد الضبيّ – أبو العباس (ت 178هـ) :**

36- المفضـليات ، تحقيق أحمد محمد شـاكر ، عبد السـلام هارون ، بيروت ، لبنان ، ط 6 ، د.ت .

*** النابغة الذبياني – أبو أمامة زياد بن معاوية :**

37- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضـل إبراهيم ، سـلسـلة ذخائر العرب (52) ، دار المعارف ، القاهرة ، 1977م

*** أبو نواس – أبو علي الحسن بن هانئ (ت199هـ):**

38- ديوان أبي نواس ، حققه وضـبطه وشـرحه أحمد عبد المجيد الغزالي ، مطبعـة مصـر ، القاهرة ، 1372هـ- 1953م .

ثانيًا : المراجع العربية :

*** أحمد الحوفي :**

39- الفكاهة في الأدب ، نهضة مصر ، القاهرة ، 1375هـ - 1956م .

*** إبراهيم عبد القادر المازنى :**

40- حصاد الهشيم ، الهيئة المصرية العامة الكتاب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ،2000م .

*** تمام حسان :**

41- البيان في روائع القرآن ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط2 ، 1420هـ - 2000م .

*** جورجي زيدان :**

42- تاريخ آداب اللغة العربية ، دار الهلال ، القاهرة ، د . ت .

*** حامد الهوَّال :**

43- السخرية في أدب المازني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1982م .

*** حسن كاظم :**

44- مفاهيم الشعرية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، د . ت .

*** حمادي صمود :**

45- العدول ؛ أسلوب تراث في نقد الشعر ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1990 م .

خالد القشطيني :

46- السخرية السياسية العربية ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1992م .

* **ريمون غوش :**

47- الفلسفة السياسية في العهد السقراطي ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2008م .

* **زكريا إبراهيم :**

48- سيكولوجية الفكاهة والضحك ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط1 ، 1988م .

* **سعيد شبار:**

49- المصطلح ؛ خيار لغوى وسمة حضارية ، سلسلة كتاب الأمة العدد (78) ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، قطر ، الطبعة الأولى ، 1421هـ .

* **سعيد شوقي :**

50- بناء المفارقة في المسرحية الشعرية ، يترك للطبع والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2001م .

* **شاكر عبد الحميد :**

51- الفكاهة والضحك ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، يناير 2003م .

* **شوقي ضيف :**

52- العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ط الثامنة عشر ، د . ت .

* **عباس محمود العقاد :**

53- جحا الضاحك ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت .

* **عبد الحميد شيحة :**

54- المفارقة المسرحية بين النظرية والتطبيق ، الكتاب التذكاري لكلية دار العلوم بمناسبة الاحتفال بالعيد المئوي ، مطبعة عبير للكتاب ، القاهرة ، 1413 هـ - 1993م .

* **عبد العزيز حمودة :**

55- المرايا المقعرة ، نحو نظرية نقدية عربية ، سلسلة عالم المعرفة (272) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أغسطس2001م .

* **عبد العزيز شرف :**

56-الأدب الفكاهي ، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان ، القاهرة ، ط 1، 1992م .

* **عبد الفتاح عوض :**

57- في الأدب الإسباني ؛ السخريات في روايات بابيستير ؛ دراسة لغوية سيكولوجية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ط1 ، 2001م .

* **عدنان خالد عبد الله :**

58- النقد التطبيقي التحليلي ؛ مقدمة لدراسة الأدب وعناصره في ضوء المناهج النقدية الحديثة، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1، 1986م .

* **فوزي عيسى :**

59- الهجاء في الأدب الأندلسي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط1 ، 2007م .

* **مجدي وهبه :**

60- معجم مصطلحات الأدب ، مكتبة بيروت ، لبنان ، 1974 م .

* **محمد العبد :**

61- المفارقة القرآنية ؛ دراسة في بنية الدلالة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 2 ، 1426 هـ - 2006م .

* **محمد علي الجابري :**

62- العقل السياسي العربي ؛ محدداته وتجلياته ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، 1990م .

* **محمد محمد حسين :**

63- الهجاء والهجاءون في الجاهلية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د . ت .

* **محمد مندور :**

64 - في الميزان الجديد ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د . ت .

* **محمد النويهي :**

65- ثقافة الناقد الأدبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط1 ، 1949م .

* **نبيل راغب :**

66- الأدب الساخر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2000م .

* **نعمان محمد أمين طه :**

67- السخرية في الأدب العربي ؛ حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر ، القاهرة ، ط1 ، 1978م .

* **وهبه رومية :**

68- شعرنا القديم والنقد الجديد ، سلسلة عالم المعرفة (207) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، آذار 1996م .

ثالثًا : المراجع الأجنبية المترجمة :

*** أوفيد :**

69- مسخ الكائنات ، ترجمه وقدم له ثروت عكاشة ، راجعه على الأصل اللاتيني مجدي وهبه، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط1 ، 1971م .

رابعًا : الدوريات :

*** أحمد محمد ويس :**

70- الانزياح وتعدد المصـــطلح ، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، مجلد (25) ، ع3 ، يناير – مارس 1997م .

*** أمينة راشد :**

71- المفارقة الروائية والزمن التاريخي ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، المجلد الحادي عشر ، العدد الرابع ، شتاء 1993م .

*** خالد سليمان :**

72- المفارقة في شعر محمود درويش ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، العدد الثاني ، 1995م .

73- نظرية المفارقة ، مجلة أبحاث اليرموك ، سلسلة الآداب واللغويات ، العدد الثاني ، المجلد التاسع ، 1991م .

*** سامح الرواشدة :**

74- المفارقة في شعر أمل دنقل ، مجلة دراسات العلوم الإنسانية ، المجلد الثاني والعشرون ، العدد السادس ، 1995م .

*** سيزا قاسم :**

75- المفارقة في القص العربي المعاصـــر ، مجلة فصـــول ، الهيئة المصـــرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مج 2 ، ع 2 ، يناير فبراير مارس ، 1982 م .

*** صالح عزم الله زياد :**

76- المصـــطلح الأدبي بين غناه بالمعرفة وغناه بالتاريخ ، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، مجلد (28) ، ع3، يناير – مارس 2000م .

*** عبد المحسن طه بدر :**

77- في ندوة مشكلة المنهج في النقد العربي المعاصر، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مجلد1 ، عدد 3 ، 1981م .

* **محمد العمري :**

78- بلاغة الســخرية الأدبية ، مجلة علامات في النقد ، النادي الثقافي ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، مج 5 ، ج 20 ، صفر 1417 هـ – يونيو 1996 م .

* **نبيلة إبراهيم :**

79- المفارقة ، مجلة فصـول ، الهيئة المصـرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مج 7 ، ع 3 ، إبريل وسبتمبر ، 1987 م .

خامسًا : المراجع الأجنبية :

80- Scott. A .F; Current Literary Terms, A Concise Dictionary .

81- Arabic Literature to the End Ummayyad Period Cambridg University Press.

82- Baldick. Chics. The Cncise Oxford Dictionary of Literary Terms. Oxford New York, Oxford University Press 1991.

83-Enyclopedia Britiannica (Humour – Satire).

84- Johnson. E.; A Treasury of Satire, New York, ed. 1988.

85- Kishtainy . Kh .; Arab Political , Aquartet Book .

86- Rogetis International Thesauras English Words and Phrases .

87- Abrams . M.H. ; A Glossary of Literary Terms , Holt, Reinehart and Winston , 4th Edition , 1981 .

88- Gray . M . ; A Dictionary of Literary Terms . Longman ,New York Press .

89- Howatson . M.C.; The Oxford Companion to Classical Literature, New Edition , Oxford, 1989 .

90- Simpson . J.A . ; and E.S.C Weiner , The Oxford English Dictionary , Second Edition , Volume VIII, XIV , Clarendon Press . Oxford 1989.

91- Acudd . J.; A Dictionary of Literary Terms and Literary
Theory , Third Edition .

92- Webster's New American Dictionary.

93-Kierkgaard , S . (1989) . The Concept of Irony , with Continuel Refesence to Sacraates – Ed, and Trans – By : V . H . Hong & E- H .